رواية

صُوصَافيُون

محمد جمال

الطبعة الثامنة

ضياء
t.me/twinkling4



بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

الإهداء:

إلى ملهمتي...

زوجتي/ حصة بودستور

من دون حبكِ قلمي يعجز عن الكتابة.

شكرًا لأنكِ دخلتِ إلى حياتي وحولتيها من صحراء قاحلة إلى جنة ورود فل وياسمين.

أهديكِ إصداري الجديد، وأطلب منكِ أن تكرميني وتبقي معي طيلة عمري لكي أهديكِ بقية إصداراتي.

محمد جمال

خدعوك وقالوا بأن لا يوجد هناك أسرار، كذبوا وأوهموك بأن عليك أن تولد وتكبر وتعمر الأرض فقط، وفي نهاية المطاف تموت وتعترف بأن هذه هي الدنيا بكل بساطة.

وإن ناقشتهم وضعوك تحت طائلة الاتهام، فقط، لأنها أشياء لا تمس! هناك أسرار كونية ولدت معنا ولكنها لم تكتشف من نصف العالم، أسرار من الممكن أن تغير نظرتك لهذه الحياة.

عزيزي القارىء... من المؤكد أن هناك من سيهاجمني وهناك من سيقول عني مجنون، ولكن "أحمق" من يظن

بأنه اكتشف ألغاز عالمنا الحالي بالكامل.

كتاب مقدس فيه حروف وكلمات، ولكن ترى ماهي أسرار هذا الكتاب؟ هل لكم أن تجاروني وتقولوا بأن كلماتي خيال من واقع؟

المقدمة

- حسنًا... أين أنا؟ أنا في المكان الذي لم أتصور أن أشعر بمرارته في يوم من الأيام. وجوه الناس بائسة جدًا، لماذا هذا البؤس وأنا من هو خلف القضبان؟

رائحة الغبار المتناثرة في المكان تغطي رائحة الأوكسجين، لأول مرة أشعر بأني لا أملك أحبالًا صوتية، ولماذا أتكلم ولا يسمعني أحد؟ وكيف أريد أن يسمعني أحد ومايحدث معي شيء من وراء الطبيعة..شيء، لا يصدقه أي عقل بشري، فكيف انتهى الأمر بي سارقًا، إنني لم أسرق شيئًا طيلة عمري!

جاءني صوتها بأنفاسها المغرية وهي تقف خلفي في قفص الإتهام:

- هذه أخر فرصة لك، قل لي أنك ستكون لي، وسوف أخرجك من هذه الورطة كما تخرج الشعره من العجين.

التفتُ خلفي... رأيت جمالها الطاغي... رأيتها وأنا أعلم أنه لا أحد يستطيع أن يراها غيري. أخرج من عقوبة السجن وأكون معها؟ وهي من وضعتني هنا، كيف أشرح للقاضي دون أن يتهمني بالجنون؟

قلت لها بكل خضوع وضعف:

- أخرجيني من هنا، فأنا لم أفعل شيئًا.

برقت عيناها وقالت بكل شغف:

- وهل توافق على أن تكون معي طوال عمرك؟

أحسست في هذه اللحظة بأني لا أملك أي ملامح في وجهي، فقلت لها:

- لا أستطيع تطليق زوجتي وأكون معك... لا أستطيع!

تحولت ملامحها الجميلة إلى ملامح مرعبة وصوتها سدَّ مسامعي أنا فقط من بين الموجودين في قاعة المحكمة:

- إذن سوف تتعفن بالسجن! وسوف تحل عليك لعنتي أينما كنت.

من هول صدمتي ومن شدة ضعفي وأنا أرى زوجتي وأبي وأمي وهم يبكون أمامي لم أنتبه للقاضي عندما قال:

- حكمت المحكمة عليك بالسجن خمس سنوات!

فجأة أحسست بأني نادم للدخول إلى هذا العالم المخفي عن بني آدم... بكل هذه البساطة!

عالم واحد ولكنه ينقسم إلى نصفين، النصف الأول هو العالم العلوي والذي تتكشف أسراره بصعوبه وبجهد كبير، فإن كنت تريد خدمات من يحكمه فسوف تركض الأميال وسوف تناجي بكلمات سترهق لسانك وستدخلك في عالم اليأس لبعض الوقت، وبيدك أنت.. تكمل! أم تستسلم للفشل.

والعالم الآخر هو العالم السفلي، عالم يسهل الوصول إليه، من يخدمه دومًا ينتظرون أي نداء لكي يتسابقون على صاحبه، من الممكن معهم أن تفعل المستحيل ولكن محال أن يكون المستحيل بلا مقابل.

وإن اخترت العالم السفلي لحياتك، فهو عالمك للأبد... لا يمكنك أن تتراجع عنه ولا تقف معه إن احتاج إليك، ولا يمكن أن ترجع للعالم العلوي إلا إن كان لديك الطاقه بأن تتوسل طيلة حياتك، وتنتظر الشفقة منهم للرجوع مرة أُخرى.

بعد 5 سنوات!

كنت أجلس في السيارة بجانب والدي الذي يقودها، كان السكون سيد الموقف، أشعر بأن أعصابي بالكامل باردة جدًا، ووجهي يخلو من أي تعابير، وكأني طفل خرج إلى هذه الدنيا الجديدة عليه وبدأ يتعرف على ملامحها.

أشعة الشمس كانت قوية جدًا على وجهي ولكني كنت لا أبالي. ذات يوم سمعت جملة مضحكة نوعًا ما من أحد أصدقائي، كان في قمة الحزن عندما قالها، ولكن لم أتمالك نفسي وضحكت، في ذاك الوقت كان يمر بالكثير من المشاكل مع زوجته، ووصل إلى مرحلة بأنه صار لا يبالي لأي شيء يمكن أن يحدث، أتذكر في ذاك اليوم كانت الأجواء باردة... بل متجمدة! ورأيته يلبس ملابس خفيفة، وقالها لي:

- أشعر بأنني لا أشعر يا صديقي.

التفت عليه بكل استغراب وقلت:

- وكيف ذلك؟ جملتك يملؤها التناقض.

أبتسم لي وقال بنوعٍ من الملل:

- لم أعد أبالي بأي شيء في حياتي، حب حياتي ينتهي، ويعصره ألم الفراق. عندما يبدأ الإنسان بفقدان جميع ما

يملك يموت الإحساس عنده، ولهذا أشعر بأنني لا أشعر.

نعم! إنني أتذكر هذا الحوار معه... أتذكره لأنني أشعر بأني لا أشعر بشيء، يسكنني برود غريب وكأني تحت المخدر!

وصل إليَّ صوت أبي لكي يوقظني من إحساسي الغريب:

- عبدالله... أتمنى منك أن تستقبل الحياة بعقل جديد، لا تجعل الأشخاص تتدخل في مالا يعنيها.

لم أفهم ماذا يقصد في كلامه:

- لم أفهمك يا أبي!

قال لي بنبرة جادة... بل قاسيه:

- لا أريد الناس أن تعرف سبب سجنك.

سكت لعدة ثوانٍ ومن ثم قلت:

- ولكن يا أبي أنا لا أعرف لماذا سجنت!

ابتسم لي أبي ابتسامه النصر وقال:

- هذا هو ابني!

استمرت إبتسامته وأكملت أنا في توهاني! فلم أقل له ذلك لكي يفرح، ولكني حقًا لا أعرف لماذا سجنت! خرجت من السجن اليوم وأحسست بشيء غريب، ماذا يحدث معي! أنا لا أشعر بحواسي، أشعر بأنني لا أشعر!

صوصافيون

جماعة تم تأسيسها منذ قديم الأزل وأطلق عليهم اسم -صوصافيون- كان شعارهم التقوى والصلاح. حوربت من جميع الأديان والمذاهب، ذنبهم الوحيد هو اكتشافهم لعالم مخفي عن البشر، عالم مقارب للعالم البشري ولكن فيه شيء غريب كالسحر! ومفعول سحره لا يعمل إلا بشروط.

استطاعوا أن يفكوا رموز علم محير! يعتمد على الأرقام والكلمات، وأثبتوا أن هناك أسرارًا كونية من الممكن أن يجن منها العقل البشري!

لو كانت هناك دولتان تفصل بينهما بحيرة، فمن السهل جدًا أن نضع جسرًا يربط بينهم وبهذا يمكننا التنقل عبرهم بسهولة.

ولكن لو كنا نريد أن نبني جسرًا بين العالم الأنسي والعالم الجني؟ فمم سوف يتكون هذا الجسر؟

هذا السؤال -صوصافيون- تمكنوا من الجواب عنه وكشفوا عالمًا مخفيًا فيه الكثير من الغرائب والعجائب.

منذ أن وطئت أقدامي داخل منزلنا... ابتسمت! في واقع الأمر رحلتي مع أبي في السيارة كانت مرهقة جدًا، كان يحدثني عن أشياء لم أسمع بها من قبل! ولكن كيف لي أن أنسى المكان الذي كبرت وترعرت فيه، إنني أتذكر

حتى رائحة الغبار التي تسكن زوايا البيت... رائحة البخور التي لا تنبع إلا من أيادي أمي... بسمات أبي التي تخرج مع كل نفحة من سيجاره الفاخر.

وأكثر شيء قد اشتقت إليه هو سريري العزيز تربطني به رابطة وطيدة، وجميع الناس لديهم هذه الرابطة، فلو نمنا في أرقى الفنادق وأفخم البيوت، فإنك دائمًا تشتاق لحنين وسادتك ولحافك، هي علاقة غريبه كعلاقة الأم بولدها... الشخص بوطنه... القلم بكراسته..آه يا سريري العزيز!

- أهلا بك يا عبدالله... لقد اشتقت لك كثيرًا وانتظرت هذه اللحظه منذ زمن بعيد.

قالتها أمي وحضنتني بقوة لدرجة أني أحسست بأن عظامي سوف تتحطم، هذه هي من ربتني ذات الملامح التي تملؤها التجاعيد، ولكن كبر سنها كان يضيف لها هيبة كبيرة، وكما عهدتها دائمًا... أنيقة جدًا كالمعتاد.

- وأنا أيضا يا أمي اشتقت لكم كثيرًا، وتغمرني سعادة لا توصف وأنا هنا في البيت!.

بدأت الدموع تغمر عينيها وقالت بكل حسرة:

- آه من ذاك السجن الذي حرمني منك، وآه من ذاك السبب الذي سلب منك حريتك.

وكأني كل مرة أسمع فيها هذا الموضوع، أسمعه للمرة

الأُولى! حقا لا أعلم لماذا سجنت!

تدخل أبي في الحوار وقال بمرح:

- أريدك أن ترتاح قليلا يا بني وأن تستعد لزيارة من شخص غلبه الشوق كثيرًا لك وأنت بعيد عنه، ويريد أن يراك في أسرع وقت.

قلت بكل استغراب: من تقصد؟

- ومن تكون! زوجتك أميرة.

زوجتي! ماذا يقول؟ هل أنا متزوج؟ أم إنها مزحة منه لا أكثر! يا إلهي لا أتذكر أنني تزوجت أبدًا، لا بالطبع هو يمزح!

- أبي أنت تمزح صحيح؟ فأنا غير متزوج!

نظر والداي لبعضهم البعض لثوانٍ ومن ثم انفجرا في الضحك، وفي وسط ضحكاتهم العالية أحسست بأن الدنيا بدأت تمشي بشكل بطيء جدًا، فقط عندما رأيتها خلفهم وهي تخطو بخطواتها! ترى من هي؟ فتاة ذات بشرة بيضاء جدًا، جميلة بجمال تتغنى به الأبيات الشعرية، كانت تلبس فستان زفاف أبيض يبين جمال قوامها المتناسق وطولها المناسب، وبيدها مجموعة ورود، كل وردة منها تتعلم الدلال من صاحبتها، إنها حورية! استحالة أن تكون من البشر!

ابتسمت لي ورأيت أسنانها البيضاء تشع وتخترق زوايا حياتي المظلمة، وبكل بساطة علقت قلبي معها ودخلت إلى إحدى الغرف!

قلت بوجه شاحب يملؤه التوتر:

- أبي... أمي... من هذه الفتاة صاحبة الفستان الأبيض؟

وأشرت خلفهم، فألتفتا بفزع وقالت لي أمي:

- أي فتاة يا بني؟ نحن لوحدنا في هذا المنزل!

قالتها لي، وظللت ساكنًا بجسدي البارد، كنت لا أستطيع الحراك ، وبدأت جملة أمي تدور في رأسي:

- وحدنا في المنزل!

كل ممنوع مرغوب أم كل ممنوع محظور... أيهما أقرب إلى مجتمعنا!

لماذا دائمًا عندما نريد أن نكتشف الأسرار يردعونا؟ لماذا دائمًا العادات والديانات تكون سدًا مانعًا أمام بعض الأشياء التي خدعونا فيها وقالوا بأنها خرافات تُحكى لكي نرعب بها الأطفال!

نعيش في عالم كتب لنا أن نكون الأقوى فيه، ولكن ماذا يوجد في العالم الآخر؟ وكيف يعيش الجن حياتهم؟ كيف يعملون؟ كيف يتزوجون وينجبون؟ وهل هناك جسرًا للتواصل معهم والاستفادة منهم في الكثير من

الأغراض؟

لو كررنا أية كلمة في معاجم اللغة العربية لعدة مرات مثلاً "سيارة" لو قلناها عددًا من المرات هل سيتغير شيء؟ بالطبع لا!

ولكن ربما هناك كلمات وجمل تقال بعدد معين في لغة الجن المعروفة "السريانية"... ترى هل سنتخطى الحاجز الذي سينقلنا لعالمهم؟

كنت أجلس في البيت كالغريب، ضحكات أهلي غريبة، ونظرات أميرة التي يقولون أنها زوجتي مريبة!

أرى في عيونها تساؤلات كثيرة، ولكن لو تعلم كثرة الأسئلة التي في ذهني سوف تصدم!

أتمنى يا عزيزتي أن أمسك أياديك الناعمة... أداعب خصلات شعرك الحريرية... نذهب لأحد المطاعم الراقية ونسرق من أجواء الحب والرومانسية ولو قليلًا، ولكني أنا لا أعرفك! حتى ولو كنت زوجتي كما يقولون!

ماذا أصابني؟ كيف لي ألا أتذكر أشياء كثيرة كهذه! هل أنا بالفعل فقدت جزءًا من ذاكرتي؟ أم كل ما يقولونه لي كذب وتمثيل ولهم غاية في ذلك! ولكن ماذا يريدون؟ فأنا لا أملك شيئًا!

أكثر ما يرعبني أني لم أشرح لهم عن حالة فقدان الذاكرة! ترى ماذا سيقولون؟ بالطبع سيتهمونني بالجنون،

مستحيل على أي شخص أن ينسى التهمة التي ألقت به بين جدران السجن، ومستحيل أيضًا أن ينسى زوجته، طريقة معرفته بها، فترة الخطوبه! حفلة الزفاف! ولكني حقًا لا أتذكر!

منذ أن حطت أقدامي على عتبات منزلنا صار يحدث لي شيء في غاية الغرابه! إنني أسمع صوتًا يأتيني من داخلي على هيئة تنبيهات مستقبلية، فكيف لي أن أعرف من المتصل قبل أن أرى شاشة الهاتف، وكيف لي أن أعرف بأن صديق أبي سوف يطرق الباب، وكيف لي أن أن أسمع الجمل التي ستُنطق بلسان أمي قبل أن تقولها!

وفي هذه المره قررت ألا أصمت! وكنت أقول لهم عن إحساسي، وكنت أرى الصدمة مرسومة على وجوههم، لم تكن صدمة فقط، ولكن كانت رعبًا وفزعًا وغموضًا يطل من بين حجرات عيونهم، والسؤال الذي يدور في بالهم كان بالغالب يدور في بالي... ترى ماذا يحدث؟

عادةً كانت جلساتنا يغلب عليها الصمت، كنت أحس في بعض المرات بأنني ضيف ثقيل عليهم ويريدون التخلص منه!

أريد أن أُبادر وأبدأ في الكلام، فقط لكي أكسر حاجز الصمت، ولكن عندما رأيتها تقف خلف والديَّ و -زوجتي- أصابني الهلع! تقف بفستان زفافها الأبيض وتنظر لي بابتسامة مكسورة مع ورودها التي بدأت

بالذبول!

كنت أحاول إخفاء توتري وأريد أن أعرف هل يرونها كما أراها أنا؟ فنهضت بوجه بارد الملامح ووقفت أمامها فالتفتوا جميعهم إليَّ وقال أبي مستغربًا:

- عبدالله... لماذا تقف هكذا لوحدك؟ ماذا بك؟

إذن هم لا يرونها كما أراها أنا!

نظرت لها لعدة ثوانٍ إلى أن بدأت تخطو نحو الدرج. صعدت إلى الأعلى خلفها من غير أن أشعر إلى أن وصلنا سطح المنزل!

عندما فتحت باب السطح رأيتها تقف على حافته، وتطلب مني أن أقترب منها بأشارة من أصابع يديها الصغيرة. كانت لا تتكلم بصوت مسموع ولكن كانت تأتيني همسات في اذني بصوت ملائكي مريح:

- قرب لي... لا تخف... لن أؤذيك!

صرت أقترب منها خطوة تلو الأُخرى ومع كل خطوة كنت أرى بأن ورودها بدأت تقل! تسقط وردة تلو الاخرى! استغربت في البداية ولكن لم أهتم وأكملت خطواتي.

أريد أن أكون بقربها، هناك شيء يدفعني إلى أن أتمنى الموت بين يديها، هناك جاذبية قويه تدفعني إلها، لا يهمني

من هي! لا أكترث لماذا لا أحد يراها غيري... أريدها! أريدها الان!

- عبدالله! ماذا تفعل!

أيقظني صوت أبي ورجعت لواقعي وصدمت! كنت أقف على حافة السطح من الأعلى ولا يفصلني عن السقوط سوى خطوة واحدة! رحت ألتفت بجميع الاتجاهات. لم أجد الفتاة! ولكني رأيت والديَّ و زوجتي ينظرون لي باستغراب. ركض أبي ناحيتي وأنزلني بقوة كالطفل! ونهرني وقال:

- ماذا تفعل يا غبي؟ هل تريد أن تموت!

نظرت إليه بعيون مذهوله... مصدومه!

- لا أتذكر كيف صعدت إلى هنا يا أبي!

بدأت -زوجتي- بالبكاء وقالت:

- لا أستطيع أن أتحمل كل هذا، أريد أن أذهب لبيت والدي.

قالتها ورحلت بهذه البساطة... تركتني مع نظرات أبي وأمي الحائرة!

هل تعرفون ذاك الإحساس عندما تكونون سارحين بعيدًا عن العالم؟ ولكن عندما تفكرون فيما يشغل بالكم تجدون بأنه...لا شيء! هذه كانت حالتي وأنا مستلقٍ على

سريري وحيدًا في غرفتي... زوجتي هجرتني، لقد أشفقت على حالها ولا ألومها فأنا نفسي لا أعلم ماذا بي ولكني كنت سعيدًا برحيلها فأنا لا أكترث بما يقولون... أنا متأكد بأنني لست متزوجًا!

ما هذا الصوت الذي بداخلي؟ إنه ليس صوتًا واحدًا ولكني أسمع أشخاصًا كثيرة تهمس بإذني! حروف معروفة وكلمات مجهوله، بدأت أضع يدي على رأسي... وأحسست بأن حرارة جسدي بدأت بالاشتعال، يا إلهي هناك كمية عرق تتصبب من جبهتي بشكل جنوني!

فجأه اختفت جميع الأصوات، بدأت بالتلفت كالمجنون في أرجاء غرفتي! كنت أبحث عن شيء لا أعلم ماهو!

أحسست بثقل كبير على عيني وكنت أريد أن أغلقهما ولكنَّ شيئًا ما على أطراف الجدار جعلني أنهض من مكاني وكأنني ضربت بصعقة كهربائية، ما هذا! هل ما أراه حقيقيًا! اقتربت من الجدار فوجدت مجموعه من النمل! نعم... نمل ولكن غريب جدًا تشع أجساده باللون الأبيض، يشكل دائرة متحركة حول نفسه!

المنظر جعلني أشك بأنني أحلم! من غير أن أشعر مددت يدي إليه، كنت أريد أن ألمسه، ومع اقتراب يدي منه، فجأة توقف دورانه ورأيت رؤوسه تميل إلي وعيونه بدأت تكبر بشكل مرعب! كانا ينظر إلي بنظرات تفزع! لم أر نفسي إلا وأنا أتراجع بضع خطوات للخلف وأسقط على

الأرض!

يا إلهي ماذا يحدث لي! رجعت لسريري وأنا أشعر بأنني سأنفجر من سخونة جسدي. كنت أحاول تهدئة نفسي ولكن لم تمضِ إلا ثوانٍ بسيطة وحتى سمعت صوتًا يأتي من الجدار، هل هو النمل من جديد! كأن أحدًا يضرب الجدار..ضربة واحدة... ضربتين بصوت خفيف، ولكن ثالث ضربة جعلتني أقفز من مكاني وجعلتني لا أشعر وأنا أتبول لا إرادياً على نفسي! بدأ الجدار بالتفكك والتكسر شيئًا فشيئًا، إلى أن كون دائرة سوداء، لا أعلم كيف حملتني رجلاي وذهبت لكي ألقي نظرة، أصابني الرعب، وجدت السواد والسكون! فجأه اشتعلت النيران بالداخل! رجعت إلى الخلف مفزوعًا وكأنني أرى نار جهنم في الجدار! فرأيت الفتاة صاحبة فستان العرس الأبيض تطير من داخل الجدار وتدخل إلى الغرفة، كانت تنظر إلى بكل غضب وكره! وكنت أرى ورودها وهي تحترق بين يديها! وفجأة فستانها الأبيض صار يغطيه السواد ويشتعل من الأطراف!

أحسست بأني سوف يغمى علي من هول الموقف، فصرخت بأعلى صوتي:

- من أنتِ وماذا تريدين مني؟

بحركة واحدة من يديها جعلتني أطير من مكاني وأقف مقابل وجهها المليء بالرعب والخوف.



- أنزليني حالًا وإلا...

- قل ما شئت واصرخ بأعلى صوتك فلن يسمعك أحد.

أحسست بالاستسلام المصاحب للألم، أشعر بشيء يحرقني في أطراف جسدي، هل أنا أشتعل نارًا؟

- ماذا تريدين مني؟ إنني مستعد أن أنفذ جميع ما تطلبينه مني لكن دعيني وشأني أرجوك!

فجأة تحول صوتها لوحش مخيف وقالت:

- أنا مريم التي تركتك تتعفن بالسجن ومسحت ذاكرتك لكي لا تتذكر أهم الأشياء ومن بينها زوجتك المعتوهه! ولكن الآن لن أجعلك ترتاح ولو قليلًا وسوف أجعلك تشعر بالألم الذي ألحقته بي، نعم... أنت ملكي الان!

قالتها وضربتني على رأسي ضربة قوية أفقدتني الوعي!

قبل 7 سنوات!

يا لبؤسي! مستلقٍ على سريري منذ شهر ونصف! أنظر إلى ملابسي التي أصبحت مبللة من كمية التعرق التي تصيبني، نعم أنا مريض ولا أعلم ماعلتي! والمضحك أيضًا أن جميع الأطباء لم يجدوا سببًا لمرضي بعد فحصهم المتكرر لي! أشعر بأنني مثير للشفقه! أنظر إلى جسمي الهزيل وأندم على صحتي التي ذهبت. صدقت يا أبي عندما قلت لي في يوم من الأيام بأن الصحة هي أهم شيء في حياة الإنسان، لا ماله سوف يغنيه عنها ولا حتى نجاحاته! الصحة ولا شيء غيرها!

دخلت أميرة وهي تحمل معها إناء الحساء الذي مللت منه! وكانت تبتسم لي وتحاول كعادتها أن تمدني بالأمل، كم أنتِ جميلة يا زوجتي من الداخل والخارج ولكن أين هو الأمل!

وضعت الإناء أمامي وقالت:

- هيا يا حبيبي اشرب الحساء.

أمسكت بالملعقة ورميتها على الأرض. فنظرت إلى أميرة بصدمة وقالت:

- لماذا يا عبدالله!

- كل يوم لا أشرب إلا الحساء وبلا ملح أيضًا! ولا

أشرب إلا الماء! إلى متى يا أميرة فأنا مللت من هذا الحال.

- الأطباء منعوك من جميع المأكولات والمشروبات ولابد عليك أن تتحمل.

- منذ شهر ونصف لا أعرف ماذا بي، جسمي يتعرق وحراراتي تارة ترتفع وتارة تنخفض! لقد نسيت طعم الأكل... نسيت كل شيء لذيذ ولا يصاحبني غير الألم والشعور بعدم أهميتي بالحياة!

رأيت في عينيها نظرات مكسورة، فقالت:

- تحمل يا عزيزي، فربك موجود و كبير وهو أدرى بعلتك ولن يجعلك تعاني طوال الوقت! آه يا عبدالله... كم أحزن مليون مره وأنا أراك كل يوم تفقد وزنك وصحتك، أنت طيب جداً ولم توذِ أحدًا طيلة عمرك، ولم تجعلني أحتاج لأحد طيلة زواجي بك، ياليت ما أصابك قد أصابني.

أمسكت يدها بقوة وأحسست بذاك الأمان الذي أعهده دومًا في يديها:

- لا تقولي ذلك يا أميرة، أخشى عليك من العذاب ومن الألم، لا أستطيع أن أتخيلك تعانين ولو من مرض بسيط، فأنتِ جمال الدنيا بعينيَّ، وأنتِ من يلهمني التفاؤلَ والأمل الذي بدأ يتلاشى مني تدريجيًا...وجودك في حياتي لا يعوض يا حب حياتي.

ارتحت قليلًا عندما رأيتها تمسح دموعها وتبتسم لي، قبلت يدها. كنت أواجه صعوبه في الوصول إليها، حتى تحريك جسمي صار مرهقاً:

- عزيزتي اتصلي على (سمير) واسأليه لماذا تأخر!

- حسنًا.

قالتها وخرجت من غرفتي، وضللت ساكنًا أحدق في مكتبتي التي أملكها، مجموعة كبيرة أمام عيني أصبح وأمسي عليها.. في دنياي لا أحب سوى أبي وأمي وأميرة وكتبي!

يا إلهي أين سمير! لقد تأخر جدًا. تعودت منه أن يجلب لي كتبًا نادرة جدًا، يصعب أن أجدها في السوق.

سمعت طرق الباب فظهر في عيني بريق يحمل كل أحرف وكلمات مؤلفين العالم.

دخل سمير، كان مصري الجنسية، ملامحه الباردة جدًا تختفي خلف نظارته الطبية الكبيرة! ذو شارب كبير مميز، وشعر مموج وخفيف، وبيده سبعة كتب.

- لماذا تأخرت يا سمير؟

قال لي بنبرة متوترة وخائفة:

- أنا آسف جدًا يا سيدي، ولكن أنت تعلم بأن الكتب التي أجلبها لك ممنوعه وواجهت عدة مشاكل فقط لكي

أجلبها لك.

أخذت الكتب من بين يديه بلهفة كلهفة الطفل لحليبه! بدأت أرى كل كتاب وأتفحص الأغلفة، صحيح بأنهم يقولون من الخطأ الحكم على الكتب من أغلفتها ولكن هذه المقولة لا تنطبق علي! لأنني أملك حاسة مميزة، فأنا أعرف الكتب من أغلفتها، إنها حاسة الكتب الخاصة بي!

كانت عيون سمير تتحرك يمينًا وشمالًا مع كل حركة من يدي، فهو لا يهمه إلا أن أشتري منه ولا عيب في ذلك، فهذا مصدر رزقه، والجميع يبحث عن المال سواء الأغنياء أو الفقراء.

أحسست ببعض الضيقه لأنني وصلت إلى الكتاب السادس ولم يعجبني فوضعته على طرف السرير ومسكت بالكتاب الأخير، لا أعلم لماذا عندما أمسكته أحسست بقوة تدفعني لكي أفتحه! تصفحته وأحسست بهواء بارد يضرب وجهي من أوراقه، وشممت رائحة بخور عطرة تخرج من حروفه، فأغلقت عيني وابتسمت براحة.

- نعم... نعم، لقد راهنت نفسي على أن يعجبك هذا الكتاب يا سيدي.

قالها سمير وهو يبتسم ابتسامة النصر!

- ما سر هذا الكتاب؟

- إنه كتاب نادر جداً يا سيد عبدالله، فيه أسرار غريبة



وعجيبة، مخيفة بعض الشيء...إنه كتاب مريب ولا أتجرأ أن أتصفحه.

كان سمك الكتاب غير إعتياي وكان سواد لونه ملفت جدًا، والغريب بالأمر بأنه لا يحتوي على اسم على الغلاف.

- حسنًا... أريد هذا الكتاب.

- ولكن يا سيدي هذا الكتاب باهض الثمن.

قلت بنوع من الثقة واللامبالاة:

- كم تريد فيه يا سمير؟

قال لي سعره... صدمني بثمنه المرتفع جداً! ولكني وافقت وأخرجت النقود من تحت وسادتي وأعطيته... ورحل وهو يبتسم، فالمبلغ الذي أخذه يستطيع أن يؤجر فيه شقة فاخرة لثلاثة شهور!

لا أعلم لماذا حضنت الكتاب على صدري بقوة وسقطت بعض من قطرات عرق من جبيني عليه، كنت متعبًا جدًا ولكني أصريت على أن أبدأ في القراءة. فتحت الكتاب ووجدت أول صفحة تحتوي على اسمه...

"صوصافيون".

لكل شخص فينا وظيفة، يعمل ويبقى فيها طيلة العمر، ويغيب عن بيته وأهله وأصحابه بسببها، وكلما تعب واجتهد

ارتاح في النهاية عندما ينزل له أخر الشهر مبلغ جيد، فدومًا هناك شيء يسد عن شيء، نعمل ونكافأ بأوراق من المال وحوافز وعطل رسمية، هذا في عالم الواقع غير المتغير.

ولكن لو كان هناك واقعًا متغيرًا؟ وأقصد بكلمة -متغير- أي يتغير فيه الروتين ومعتقدات أي شخص في هذه الدنيا.

منذ قديم الأزل اكتشف أحد الأشخاص الصوصافين سرًا عظيمًا، سر تم إهداؤه له من قبل فرد من الجن الصالحين، كان هذا الشخص الصوصافي من الفراعنه! وصنف بأنه أول -صوصافي- في العالم وهو من أسس هذا الحزب العظيم.

ذات يوم... في ليلة ظلماء تم اختيار هذا الصوصافي من قبل جماعة الجن الكبرى، فهذه الجماعة عادة ماتختار شخصًا عشوائيًا وتنعم عليه من أسرار الدنيا.

أهدوا لهذا الصوصافي -وردًا- ويقصد بالورد كلمات بلغة غير مفهومة، وهذه اللغة هي السيريانية، وهي اللغة المستخدمة في عالم الجن، واشترطوا على هذا الصوصافي أن يداوم على الأوراد لمدة معينه، وعلى أن يكون معتكفًا عن الدنيا وملذاتها، وأن يعتزل الكلام مع البشر، والأهم من ذلك أن يكون الهواء الذي يتنفسه هو بخور معين يتم إطلاقه كهديه للجن، ورائحة هذا البخور سوف تقوي من روحانيته.

وافق الصوصافي على شروطهم وفتحوا بصيرته على أسرار كونية لا يصدقها أي عقل بشري.

فواظب على ذكر أوراده وكان كالتلميذ المطيع لهم، وكل ما زاد الوقت كشفوا له عن أسرار جديدة إلى أن صار واحدًا منهم، وتزوج من بناتهم وأصبح لديه أبناء من الجن.

وفي ذات يوم، خطرت على باله فكرة لا تصدق: أجتمع بالجن وطلب منهم ما يريده، ولم يجد منهم غير السمع والطاعة، لأنه كان ابنهم البار، وبالفعل فكرته أصبحت واقعًا! ومن بعد التخطيط وسهر الليالي تم إنشاء الأهرامات!

فالأهرامات لم تبنَ قط من البشر، لقد كانت بأيادٍ جنية معززة بأفكار بشرية -صوصافية-.

ألم تسأل نفسك في يوم: لماذا البشرية دوماً نتطور وسوف نتطور ولكنها عاجزة على بناء أهرامات جديدة؟ باختصار لأن هذا الشيء يفوق طاقتهما، وهنا يكمن السؤال الأهم! لو لم يكن الصوصافي فرعونيًا هل كنا سنرى الأهرامات؟ لا أظن ذلك!

- عبدالله أنت تغوص في هذا الكتاب منذ ثلاثة أيام، لا تأكل لا تشرب وكأن صحتك ينقصها هذا الحرمان!

رفعت نظري عن الكتاب بعد كلمات أميرة لي، ومسكت إناء الحساء الموضوع أمامي فوجدته باردًا جدًا،

فابتسمت لها رغم ألم المرض الذي أحس به.

- هل لي أن أرى هذا الكتاب الذي جعلك مشوش البال طيلة هذه الفترة؟

مدت يدها لتأخذه مني فصرخت بصوت مبحوح مرعب و مرتجف:

- لا!!!!

رأيت ملامح الرعب ترتسم على ملامحها الجميلة، فتراجعت بضع خطوات إلى الخلف خوفًا مني، فقلت معتذرًا:

- أنا آسف يا حبيبتي ولكني لا أحب أحدًا أن يمسك كتاب لم أنتهِ من قراءته بعد.

نظرت لي نظرات استغراب وقررت أن تخرج من الغرفه من غير أن تنطق بحرف واحد.

ساد الهدوء المكان، وعندما بدأت أفكر في حالتي أصابني الهلع! فأنا صرت لا أنام ولا أكل أو أشرب. هناك قوة غريبة في هذا الكتاب تجعلني أبحث عن أبواب نعيمه!

أخذت كوب الماء الذي أمامي وشربته كله وقررت أن أفكر فيما قرأته.

كيف لم أسمع عن الصوصافيون من قبل؟ وكيف استطاع الصوصافي المذكور في الكتاب كسب الخبرات سريعًا والاستفادة من الجن في بناء الأهرامات!

العجيب في الأمر أنني أسأل والإجابة موجودة في الكتاب! هناك أبواب كثيرة في هذا الكتاب تجعل أي شخص في هذه الكرة الأرضية من الممكن أن يكون صوصافي!

كنت أريد أن أكمل الكتاب وأدخل في هذا العالم السحري! كيف لي أن أحظى بخدمات معشر الجن؟ كنت سأعاود فتح الكتاب ولكني صرخت ألمًا لما أشعر به: المرض يفتك بجسدي، صرت أبكي من غير أن أشعر وكنت لا أريد أن أخبر أميرة بألامي، فهي لا تنام معي في نفس الغرفة وأنا من طلب منها ذلك، خوفًا من أن أعديها بمرضي المريب!

لا أعلم لماذا فجأة أحسست بأني أريد أن أناجي الكتاب! فضممته إلى صدري وقلت بكل ألم وتعب:

-أريد أن أجد علاجي، أريد أن أسترجع صحتي من جديد، لا أريد... أن أموت! لا أريد...

واصبحت الدنيا سوداء!

- لماذا هذا الوجه الجميل غارق في هذا الكتاب؟ لماذا أنت تهتم بعالمنا إلى هذا الحد؟

فتحت عينيَّ مذهولًا! كنت أبحث عن مصدر الصوت، كان جميلاً كالنفحات الخريفية، في البداية ظننتها أميرة ولكن الصوت كان مختلفًا، من الواضح بأنني أحلم!

أغمضت عيني من جديد وحاولت أن أنام.

- هل أزعجتك؟

رجع الصوت من جديد وهذه المرة أصابني الفزع! نهضت من سريري بتعب شديد وقلت:

- من هناك!

سمعت همسات من الصوت نفسه في أذني

- إجابتك وعلاجك موجودان، افتح الكتاب....صفحة 66.

وتلاشى الصوت! هل ما تخيلته صحيح! سرعان ما أخرجت الكتاب من تحت وسادتي وفتحت الصفحة رقم 66.

فتحت الصفحة واستقبلتني جملة:

- لكل داء...دواء!

كانت الصفحة مزخرفة بشكل ملفت وكان بياضها مشعًا!

تتكلم الصفحة عن طبيب جني يساعد كل من يناجيه من بني آدم، لديه علوم وعلاجات تفوق قطرات المطر، كان يدعى يوناس الحكيم.

مع قراءتي للكتاب صدمت من عدة أمور، أولها أنه يوجد لدى يوناس الحكيم علاج للسرطان والإيدز، ومازاد

صدمتي أنه لديه علاج لمرض "الميرومينيا" و"السيونيا" نعم! أسماء أمراض لم تكتشف إلى يومنا الحالي! هذا يعني أن الكتّاب سابق لزمنه! يقال أيضًا بأن يوناس الحكيم كان مشرفًا على عدة عمليات في العالم البشري، كرمًا منه فقط لا أكثر! كان يتواجد في بعض الحالات الحرجة، يتشكل بأحد الأطباء ويجري العملية ويختفي بكل البساطة!

هل يوناس الحكيم لديه علاجي يا ترى! وهل لدي الجرأة في طلب مساعدته!

كنت أفكر في صوت الفتاة الذي سمعته، ترى من هي؟ وكيف عرفت بشأن الكتّاب؟ ولماذا نصحتني بيوناس الحكيم؟ هل الكتّاب يريدني أن أصاب بالجنون! أم سوف أجد نفسي فيه كما وجد نفسه ذاك الصوصافي؟

لو تمعنا في جملة -لكل داء دواء- سوف نجد الكثير فيها، إنها تؤكد أن جميع الأمراض المستعصية على البشر علاجها موجود! ولكن لم يتمكنوا من اكتشافه رغم وجوده في هذه الدنيا، هذا يعني أن هناك أسرارًا لم تكتشف في دنيانه إلى سنة 2016 الحاليه! وهذا يعني أيضًا بأن الصوصافيين موجودون حقًا كما هو الحال مع يوناس الحكيم! لا يوجد طريقة للتأكد إلا التجربة!

هناك جملة في طريقة تحضير يوناس الحكيم لم أفهمها! كانت تقول:

- على كل إنسان روحاني أن يلتزم بالشروط في وقت التحضير.

ترى ماذا يقصد بالشروط! لم أبالِ وأكملت قراءتي في طريقة التحضير.

كان هناك جدول موضوع في الصفحة، يتكون من تسع خانات وكل خانة فيها رقم. سرعان ما نهضت بخطواتي البطيئه لكي أجلب ورقة وقلم، يا إلهي هذا المرض جعل مني رجلا عجوزًا. قصصت الورقة بشكل مربع ورسمت الجدول ووضعت الأرقام داخل المربعات. ألقيت نظرة أخرى على الكتاب وصدمت بما رأيته! تلاشت جميع الحروف من الصفحة! وتحولت للون الأزرق الفاتح، يا إلهي ماذا حدث! كنت سأغلق الكتاب ولكني لمحت جملة تظهر من العدم! تكتب ببطيء بقلم أسود.

- من هناك؟ وماذا تريد؟

لم أعرف كيف أتصرف فقلت بصوت مبحوح، وأنا أمسح رأسي من التعرق:

- هل أنت يوناس يا سيدي؟

انتظرت ثوانٍ وظننت أن محاولتي فشلت ولكن اختفت الجملة الاولى وحلت مكانها كلمة:

- لا!

كيف لا! بدأت جملة أخرى بالظهور أزالت جميع شكوكي:

- أنا لست بيوناس... أنا يوناس الحكيم!

إنه يعتز جدًا بلقب الحكيم، فقلت بصوت غير مسموع:

- إنني مريض بداء لم أعرف الطريق لدوائه، وأريد منك أن تساعدني.

قلتها وأنا مصدوم من نفسي! يا إلهي إنني أتحدث مع كتاب! مرت دقيقة ونصف ولم أجد أية إجابة... فقلت:

- يوناس الحكيم!

لخرجت لي جملة جديدة:

- إن كنت تريد لقائي فأهلا بك، وإن كنت تريد علاجي فسأعطيه لك، داوم على ذكر الورد الذي سأعطيك إياه ولنا لقاء تفوح فيه رائحة بخور يوناس الحكيم الطيبة! ولكن على شرط أن يكون هذا الورد سرًا بيني وبينك، وإن خالفت هذا الشرط فسوف يكون مصيرك... الهلاك!

أحسست بالرعب وأنا أقرأ كلماته! وفجأه خرجت لي صفحة الكتاب بالورد الخاص بيوناس الحكيم!

-سوف يأتي... هو وعدني... سوف يأتي!

كنت أمسك بيد أميرة وأصرخ بهذه الجملة، وهي المسكينة تنظر إلي بنظرات كلها خوف وإنكسار:

- عبدالله أنت في مرحلة هلوسة، ارجع إلى النوم وعسى ربي أن يخفف عليك أوجاعك.

وضعت يدها على رأسي وبدأت تربت علي، كم يداها حنونه! كانت تمسك جسدي الملتهب نارًا. كنت طيلة الوقت أكرر ورد يوناس الحكيم سواءً كنت صاحيًا أم نائمًا، بصوت عالي عندما أكون لوحدي، وفي أعماق قلبي عندما تكون أميرة بجانبي.

فجأة سمعت صوتًا قويًا يرتطم بالأرض، فتحت عيني وأزالت أميرة يدها عن رأسي ورأينا إناء الورد ساقطًا على الأرض ومكسورًا! وكأن أحدًا أسقطه متعمدًا!

كانت أميرة تنظر إلي بنفس نظرتي المليئة بالحيرة! كيف لها أن تسقط وهي مثبته بأحكام على الطاولة! فنهضت أميرة من مكانها وبدأت بتنظيف المكان من الزجاج، فسمعتها تتألم فقلت بفزع:

- ماذا بك يا عزيزتي؟

- لا تقلق يا عبدالله، إنه جرح بسيط.

لقد جرحت يدها وهي تلتقط الزجاج من الأرض، كنت أرى وجهها وهي تتألم، يا إلهي يا أميرة! إنك تستحقين أفضل من ذلك، لماذا تحملت كل هذه الظروف!

كم أنتِ أصيلة يا زوجتي العزيزة.

سرعان ما أكملت ذكر الورد الخاص بيوناس الحكيم، وكنت أتساءل في نفسي لماذا لم يظهر ومرَّ إلى الآن ثلاثة أيام! ترى هل ما أقوم به خطأ! وما يزيد استغرابي أن الكتاب إلى الآن حروفه مخفية! ما علاقة هذا الاختفاء بتحضير يوناس الحكيم! وما هذه القوة التي يملكها الكتاب؟ والأهم من ذلك أنا مع من أتعامل حالياً؟

******

بلغ اليأس بي أقصى درجاته، ونفدت الأمطار من سحب حياتي، كنت إلى اليوم السادس أذكر كلمات ورد يوناس الحكيم، و الشكوك تحوم حول عقلي كالنحل وهو يطير إلى خليته، وفي لحظه بين المنام واليقظه، سمعت صوتًا يأتي من بعيد جدًا!

- أنا... استمر... أنا قادم إليك... استمر!

أحسست بطاقة غريبة بدأت بالجريان في جسدي، وبدأ لساني يتحرك بسرعه كبيرة وكأنه تحول لساق أفضل المتسابقين في العالم، وأحسست بأن هذه هي المرة الاولى التي كانت فيها الكلمات تدل لساني وليس العكس! وفجأة نهضت من سريري ووقفت أمام الحائط! كان بيني وبينه بضعة أمتار فقط، لا أعلم لماذا فعلت ذلك ولكنه حدس! وأكملت في القراءة أكثر وأكثر وفجأة حدث ما حدث!

رأيت ضوءًا مشعًا يخرج من الجدار الذي أقف أمامه، ملأ غرفتي المظلمة بنوره! ورأيت جسمًا يأتي من بعيد، كان المنظر غريبًا وكأن الجدار أصبح كالباب وسوف أستقبل شخصًا يبعد عني مئة متر أو أكثر!

اقترب الشخص مني أكثر وأكثر وكنت أشعر بمشاعر غريبة! خوف يمتزج بالقلق، وشعوري بالتعب من المرض كان يزيد من ضعفي، هل هذا هو يوناس الحكيم؟ هل نجحت؟ وهل سأدخل عالم الجن من بوابته؟

أحسست لوهلة بأن رجليَّ لا تحملاني، ولكن عندما رأيته، اختفت مني مشاعر الخوف!

ظهر بابتسامته البشوشة، وشعره الأشقر وخده الأحمر، كان أجنبي الملامح، ولكن هيئته بشرية.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كان صوته ملائكياً... موسيقياً... جميلاً، جمال هذا المخلوق أنساني أبجديات اللغة!

- لماذا لا تجيبني؟ قالها باستغراب

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... هل أنت يوناس الحكيم؟

ابتسم ابتسامة مريحة وقال:

- وهل كنت تنتظر شخصًا آخر؟

لم أعرف ماذا أقول له فأنا إلى الآن أعاني من صدمة!

- لقد التزمت بالورد يا عبدالله، وحصلت على خدماتي، اطلب ما شئت فيوناس الحكيم لديه علاجات لكل عليل.

بدأت أشرح له عن حالتي وكيف أن الأطباء لم يجدوا لي حلاً، وكنت سأكمل في شرح معاناتي ولكنه قاطعني وقال:

- علاجك موجود ولكن أنتم يا بني البشر غير مجتهدين في الطب.

ظهر بريق الأمل في عيني وقلت:

- صحيح! وماهو علاجي؟

كنت أسمع همسات صوته في ذهني ولكنه كان أمامي لا يتكلم! كان يتواصل معي بالتخاطر! ومن ثم قال لي بصوت مسموع:

- أنت نلت خدماتي وإن كنت تريد أن تحافظ علي، عليك بمعاهدتي الآن!

قلت وأنا مذهول:

- وكيف لي أن أعاهدك!

أخرج من جيبه جريدة ملفوفة لونها بني، كانت مصنوعة من القماش، ومشعة بطريقة غريبه ومكتوب عليها لغة لم

أرها من حياتي، مدَّها لي وقال:

- ألمسها وعاهدني على استخدامي بالطريقة الصحيحة لك ولمن حولك لو أردت.

مددت يدي وكنت سأمسك بالجريدة، ولكنه صرخ وأفزعني عندما قال:

- إياك... إياك وأن تلمس يدي، المس الجريدة فقط.

لم أعرف سبب تحذيره على عدم مسك يديه، فمسكت الجريدة وقلت بصوت مرتبك:

- عاهدتك يا يوناس الحكيم على جميع ما قلت.

ابتسم لي وفجأه تلاشت الجريدة من بين يديه.

وسرعان ما تلاشى هو الأخر بصورة تدريجية وقال:

- أتمنى لك الشفاء بالطريقة التي أعطيتها لك، إلى اللقاء.

واختفى! وذهبت إلى سريري... حضنني لحافي بحنانه.

منذ الوهلة الاولى التي فتحت فيها عيوني، أدخلت يدي تحت وسادتي وأغمضت بصري من غير أن أعلم السبب. أحسست بأن هناك ورقة قد لامست يدي أصابتني قشعريره في جسدي بأكمله، هذا يعني بأني نجحت! ولم يكن حلمًا ما مررت به بالأمس، بل كان لقائي بيوناس الحكيم حقيقياً.

بالأمس كان يهمس في أذني وقال لي أني سوف أصحو وأجد ورقة تحت وسادتي، بها مكونات علاجي وها أنا أمسك بالورقه الآن! كانت الأحرف الموجودة في الورقة منفصله عن بعضها فكلمة -علاج- مكتوبه -ع ل ا ج-.

كانت المكونات كثيرة و غريبة جدًا وكنت أقرأ وفي داخلي أمل الشفاء يزداد أكثر فأكثر!

أحسست بالباب ينفتح، دخلت أميرة بابتسامتها الساحرة وبيدها إناء الحساء، وضعته أمامي وقالت:

- صباحك خير يا حبيبي، هيا لكي تشرب حساءك.

فقلت بنبرة متوترة وأنا ممسك بالورقة بقوة:

- الحساء! لالا اتركيه الآن، أميرة أنا أريد منك معروفًا.

نظرت إلي مستغربة وقالت:

- قل لي!

فتحت يدي ببطيء وكأني أخاف على الورقة من الهواء، أعطيتها إياها وقلت:

- أريدك أن تجلب لي هذه المكونات.

بدأت تنظر للورقة ورأيت علامات الدهشة تغزو وجهها. قالت:

- ما كل هذه المكونات؟ ولماذا تريدها؟ ولماذا مكتوبة

بهذا الشكل الغريب؟

- أستحلفك بأغلى ما عندك لا تسأليني عن شيء الآن، فقط ساعديني..ثقي بي!

سكتت لثوان ثم قالت:

- حسنًا، سوف أخرج الآن لأشتريها.

خرجت وتركتني وحيدًا ومذهولًا، لدي العديد من الأسئلة إلى الآن، لم أعرف من كانت صاحبة الصوت الذي أرشدني ليوناس الحكيم! يا لغبائي لماذا لم أساله البارحة؟ وكيف لي أن أسأله فكنت متوترًا جدًا ومفزوعًا من حضوره!

لو أخذت صورته لأي شخص ورآه فلن يفزع، ولكن وضعي كان مختلفًا، فلقد كنت في حضرة الجن!

وجوده وحده له هيبة غريبة! ولا أعلم لماذا ولكني أحسست ببرودة غريبه تسري في جسدي بأكمله!

لم أعلم لماذا أصر على عدم مسك يديه، ترى ماذا سيحدث لو أمسكتها! وإلى الآن في مخيلتي الجريدة التي استخدمناها في العهد، كانت غريبه وجميلة الشكل!

كيف لهذا العالم أن يكون مختفيًا عن الناس! وكيف كنا نسمع أن الغوص في العالم الجني سوف يذهب بنا إلى التهلكة! يوناس الحكيم لم يعرضني للأذى وأعطاني وصفة

علاجي التي أتمنى أن أشفي بها.

يا إلهي تذكرت الكتاب! فسرعان ما أخرجته من تحت سريري وفتحته. ارتحت قليلًا، رجعت الحروف والكلمات من جديد وعاد كما كان، لا أعلم لماذا اختفت الكلمات من البداية! الكثير من التساؤلات الغريبة ولكني عجزت أن أكمل التفكير، جسدي دائمًا متعب ويريد النوم، ولكني قاومت التعب ورحت أتصفح في الكتاب، وقررت أن أفتح صفحة بشكل عشوائي. أصبت بالفزع! جعلتني أعيد التفكير بأن عالم الجن ليس كله جميلًا! كانت تحتوي الصفحة على جداول ورموز وغايتها تسخير الجن بقيام أفعال شنيعه! كتفرقة الأزواج والكوابيس والأمراض والصرع والهلوسة وربط الإنسان بحيث لا يستطيع أن يفرغ فضلاته من جسمه! والكثير من الأشياء التي لا تذكر! أغلقت الكتاب بسرعه وأحسست بنوع من الخوف!

عندما أغلقته رأيت أميرة وهي داخله، هل مرَّ وقت طويل وأنا مختلٍ بنفسي! رأيت الأكياس في يدها فقلت لها بكل حماس:

- هل وجدت جميع المكونات؟

- نعم! كان إيجادها سهلًا جدًا.

إيجادها سهل؟ كيف لعلاجي المستعصي على جميع الأطباء في الكون أن تكون مكوناته سهله؟ هل خبرة



يوناس الحكيم كافية في شفائي؟

طلبت من أميرة أن تخلطهما مع بعضهما البعض وأن تصنع منها شرابًا. وبدأت أسأل نفسي كيف لي أن أثق بجني! هذا الموضوع يشغلني كثيرًا، طريقه حضوره! وشكله الكامل! هل كان يتخفى خلف هيئة بشعة؟ وهل يريد أن يقتلني بهذه الوصفة؟

فكرت كثيرًا ولكني في الأخير قررت أن أزيل هذه الشكوك فأنا هالك لا محالة في الحالتين! لربما يكون طوق نجاتي بهذه الوصفة!

دخلت أميرة بالشراب وفجأة أحست بالدنيا تمشي ببطيء شديد! كنت أرى الشراب وهو يتراقص داخل الكأس، ومعه كانت تتراقص دقات قلبي... مشاعري... وحياتي بأكملها!

مسكت الشراب بيد مرتجفة، وشربته بكل بطيء، وكانت عيون أميرة تملؤها الحيرة والخوف، وكأنها تشعر بما أشعر، أين سأجد قلبًا مثل قلبكِ يا زوجتي العزيزة.

عندنا شربته أحسست بأني أغيب عن هذه الدنيا! بدأت الحرقة تنتشر بجميع جسدي كالنار، وكنت أواجه صعوبة في فتح عينيَّ اللتين بدأتا بالبكاء بغزارة.

كنت أسمع صوت أميرة وهي تناديني:

- عبدالله... عبدالله أجبني!



أنا آسف يا أميرة على ما يجري بك بسببي هل سأموت؟
لا أعلم... ربما!

فتحت عيني فأصابني الذهول! كنت أشعر بإحساس غاب عني منذ زمن طويل! مسكت رأسي لكي أتحسسه فوجدت أن حرارتي طبيعية، أشعر بقوة قد سلبت مني ورجعت! ابتسمت وكأني أبتسم للمرة الأولى في حياتي... لقد شفيت!

التفت فوجدت أميرة نائمة على الأريكة، فصرخت بأعلى صوتي فرحًا:

- أميرة!

نهضت مفزوعة وكانت تزيل بيدها ما تبقى من نوم من عيونها، رأتني وظهرت عليها ملامح الصدمه! قربت مني ومسكت وجهي براحة يدها الناعمة وقالت غير مصدقة:

- عبدالله! وجهك يبدو مختلفًا... يشع جمالًا وصحة!

ابتسمت لها بهدوء وقلت:

- لقد شفيت يا أميرة!

- ولكن كيف!

كيف! الإجابة هي يوناس الحكيم!

- لقد شفيت من الوصفة التي عملناها.

قالت غير مصدقة:

- ولكن من أين لك بهذه الوصفة! وكيف شفيت والأطباء عجزوا عن إيجاد علاجك؟

من المستحيل أن أقول لها عن يوناس الحكيم وأيضًا أخاف عليها من الجنون لو كلمتها عن الكتاب... السحري!

- لا يهم يا عزيزتي، المهم أنني شفيت، أريد اليوم أن يكون مميزًا، أريد أن نعمل وليمة كبيرة ونعزم الأصدقاء وأقاربنا، أريد العالم كله يعرف بأني قد شفيت.

كانت تنظر إلي بوجه مصدوم ولسان مشلول!

- أميرة! هل تسمعيني؟

- نعم... نعم أسمعك، كما تريد يا عزيزي سوف أرتب كل شيء، حمدًا لله الذي أرجعك لي كما كنت.

طبعت قبلة على رأسي ومن ثم خرجت من الغرفة ولم تغلق الباب كما كانت تفعل بالسابق.

فنهضت من مكاني وأمسكت بالكتاب وحضنته وضللت أقبله قبلات شكر وعرفان.

أريد أن أتواصل مع أصدقائي وأقاربي من جديد، أريد أن أمشي... أن أركض أن أشعر بنسمات الهواء وهي تضرب وجهي! أريد أن أخذ حمامًا ساخنًا وأحس بقطرات الماء تسري على تفاصيل وجهي، أمنياتي أمنيات

طفل فقد كل شيء.

وماذا أيضًا؟ نعم! أريد أن أكتب كتابًا، أشعر بأنني بارع في هذا المجال، قضيت طوال عمري وأنا أقرأ وأظن بأنه قد حان الوقت لكي أنشر شيئًا يحمل اسمي.

خطر في ذهني يوناس الحكيم! هل سأحتاجه من جديد؟ لا أعلم ربما! ولكني أشعر بأنني إلى الآن لم أنته من الكتاب، أعلم بأنها البدايه فقط، فباب يوناس الحكيم كان لا يذكر أبدًا، ومتأكد بأنني سوف أطرق جميع أبواب الكتاب وأقتحمها أيضا!

تزين بيتنا الكبير بالألوان والأضواء، كان يضيء كما تضيء حياتي الآن. جميع الأقارب والأصحاب موجودون بمناسبة شفائي، كنت أنظر لجميع عيون الحاضرين وكنت أرى الذهول فيها، فما حدث معي في يوم وليلة أقرب للسحر والخيال!

كان الأطفال يسرحون ويمرحون ومنهم من يأكل و يشرب، ولكني لاحظت بأن الجميع يتجنب الحوار معي، كنت أرى الخوف يسكنهم ولا أعلم لماذا!

كان عقلي مشغولًا بالكتاب، اشتاقت يداي إلى لمس غلافه وصفحاته التي تفوح منهم الرائحة الطيبة، أريد أن أغوص في أسراره. في واقع الأمر هناك شيء يشغل تفكيري، لغز لم أحله إلى الآن! من صاحب الصوت الذي

جاءني؟

- حبيبي عبدالله؟

التفت إلى أميرة ووجدت وجهها المشع جمالًا، كأنها أيضًا رجعت لها عافيتها، وكأن مرضي كان من مرضها... كم أحبها!

ابتسمت لها بكل حنان من غير أن أتكلم، فقالت لي:

- أظن الآن أستطيع أن أرجع وأشاركك غرفتنا.

ابتسمت فرحًا لهذا الموضوع ولكن اختفت ابتسامتي سريعًا عندما سمعت الصوت عاد من جديد:

- إن كنت تريد أن تعرف من أنا... لا تدع أميرة تبيت في غرفتك، وسوف تعرف الليله من أوصلك ليوناس الحكيم.

يا إلهي من صاحبة هذا الصوت!

- عبدالله!

قطع أفكاري صوت أميرة ولا أعرف كيف أجعلها لا تبيت عندي! فقلت لها وأنا أربت على شعرها الجميل:

- أظن من الأفضل يا حبيبتي أن أبيت وحيدًا هذه الليلة، فقط لكي نتأكد بأني شفيت تمامًا، فأنا لا أريد المجازفة بك.

رأيت ملامحها تتغير، فعقدت حاجبها وقالت:

- كما تريد!

وانصرفت عني! كم أشعر بالخجل وأنا أقول لها هذا الكلام، ولكن أريد أن أعرف من صاحبة هذا الصوت! وماذا تريد مني، أظن بأن الليلة سوف أحصل على جوابي!

سرعان ما انتهت هذه الأمسية، كنت أودع الناس بوجه بشوش مبتسمًا، ولكن ابتساماتي كانت زائفة! فكنت أريدهم أن يرحلوا لكي أذهب لغرفتي.

ومع أخر زائر خرج من البيت، قلت لأبي وأمي وأميرة:

- أشعر ببعض التعب، تصبحون على خير!

قلتها وأعطيتهم ظهري واتجهت لغرفتي لكي لا أمنحهم أي مجال لمناقشتي.

دخلت غرفتي وكانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف، أحسست بأن الكتاب يناديني! ولكني قررت أن أتجاهل نداءه، وانتظر صاحبة الصوت أن تخرج لي! ترى كيف ستخرج؟ وكيف هو شكلها؟ والأهم من ذلك من هي! كثيرة هي التساؤلات ولكني لدي شيء وأنا متيقن منه، وهو بأنها من... الجن!

سمعت طرقات الباب، كانت أميرة تناديني، ولكني

قررت ألا أجيب! وأحمدالله أنني أقفلت باب غرفتي بالمفتاح.

أحسست بالتعب الشديد وكانت عيناي تراقبان جميع الاتجاهات في الغرفة، إنني أنتظر! أين هي؟ رأيت الساعة قاربت الثانية عشرة صباحًا، ومن غير أن أشعر... نمت!

*****

فتحت عينيَّ ولكني لم أستيقظ كعادتي! وكأن شيئًا ما قد أيقظني! إنني أنام على جنبي اليمين وأحس بأن هناك شخصًا آخر معي في السرير! ولم تكن أنفاس هذا الشخص التي خلف أذني تؤكد كلامي فقط، ولكن كانت هناك أيادٍ تداعب شعري!

كنت أشعر بالشلل التام بجسدي من الصدمه! وكنت لا أعرف كيف أتصرف، فجأه سمعت صوت ضحكتها من خلف أذني، فهمست لي:

- هل كنت تنتظرني؟

أحسست بثقل في لساني، لا أعلم لماذا! لم أستطع أن أتكلم، فقالت لي:

- تكلم معي!

كان صوتها جميلاً... هادئًا ... موسيقيًا جدًا، ولم يكن هو ما يفزعني، ولكن رهبة الموقف هي السبب! فقلت بلسان

ثقيل:

- نعم... كنت أنتظركِ!

- شعرك جميل جدًا. قالتها واستمرت في مداعبة شعري.

لم أكن أعرف بم أجيب، فضحكت هي برقة وقالت:

- هل تريد أن تعرف من أنا؟ والأهم من ذلك... هل تريد أن تراني؟

كانت إجابتي نعم، ولكني عجزت عن قول ذلك!

- حسنًا يا عبدالله، أغمض عيونك وعد إلى العشرة، وسوف أكون أمامك، ولن أفزعك، هذا وعدًا مني.

فجأة أحسست بأن وجودها قد اختفى، فنهضت من مكاني وصرت أعد، واحد... اثنان ، إلى أن وصلت للعشرة!

فظهرت أمامي بشكل تدريجي! كانت جميلة جدًا! بشرتها بيضاء بياض ثلجي خلاب! وجهها ممزوج بجمال يوسفي! عيناها زرقاوان كالبحر، وشعرها أسود طويل به جمال طفولتي وضحكات أمي.

جلست بجانبي على السرير وكانت ملامحها بشرية برسم ملائكي! ابتسمت لي وظهرت أسنانها الجميلة وقالت:

- كيف حالك يا عبدالله؟

أجبت عليها وكانت عيوني مبهورة بجمالها:

- أنا بخير... من أنتِ؟

- لا تقلق سوف تعرف كل شيء، وجودي اليوم معك هو من أجل أن أجيبك على كل ما تريد.

مدت يديها في الهواء وأغلقت عيونها، وفجأه طار كتاب "الصوصافيون" الموجود تحت وسادتي في الهواء، واستقر في راحتي يديها!

- هذا الكتاب كان همزة الوصل بيني وبينك، في البداية اسمي مريم، وأنا من الجن المسلمين، عندما أصبح هذا الكتاب في يديك وفتحته وقرأته، أنت عرضت نفسك على العالم الجني بأكمله، جميعهم كانوا يرونك ويراقبونك، وأنا كنت واحدة منهم، كنت أراك شغوفًا جدًا بعالمنا، وكنت أشفق عليك كثيرًا من مرضك! فعرضت عليك باب يوناس الحكيم لأنني أعلم بأن شفاءك بين يديه.

- وكيف يستطيعون التواصل معي؟ وكيف انكشفت على عالم الجن بهذه البساطة!

- مرضك وعلاقتك بالصيام الروحاني هما السبب.

- الصيام الروحاني؟ لم أفهم.

- دعني أفهمك، الصيام الروحاني هو الصيام عن أكل الروح و ما خرج من الروح مثل "الجبن واللبن"

كنت أشعر بأنني تائه بعض الشيء، فقلت:

- آنا أسف ولكني لم أفهمك إلى الان!

أخذت نفس عميقًا وهي تبتسم وقالت:

- دعني أشرح لك ما أقصد، القصد بأكل -الروح- مثل الدجاج والقصد بأكل -ما خرج من الروح- مثل البيض! وأنت كنت لا تأكل كل هذا، وكانت مصادفة لا أكثر، وهذه المصادفة فتحت لك أبوابًا كثيرة، خاصةً وأنت تقرأ كتاب

"الصوصافيون"

أعتقد بأني فهمت الآن! إنها معلومة جديدة لم أسمع بها من قبل! ولكني تذكرت الشرط الذي قرأته في باب تحضير يوناس الحكيم، عندما قالو بأن من الضرورة الالتزام الشروط، أعتقد بأنهم كانوا يقصدون الصيام الروحاني!

نظرت إلي مريم بعيون هائمة، نظراتها كانت تسكرني!

- ولكني أنا شخصيًا تواصلت معك ليس فقط من أجل أن أساعدك على الشفاء.

- إذن لماذا؟

لمست وجهي بيدها الناعمة الباردة وقالت:

- لأنني معجبة بك كثيرًا، ولا أريد أن أتركك من

الان.

كنت لا أعرف بم أجيبها، فقررت أن أشغلها بأسئلتي:

- هل الصوصافيون موجودين حقًا؟ أم ما يقوله الكتّاب كذب؟

ابتسمت لي وقالت:

- نعم الصوصافيون حقيقيون وموجودون بكثرة في العالم، وهم أصدقاء للجن منذ قديم الأزل، منهم من يستخدم الجن في الأعمال العلوية، كما استخدمتها أنت مع يوناس الحكيم، ومنهم من يسلك الطريق الآخر... الأعمال السفلية!

- وكيف اكتشفوا هذا العالم؟

- كيف لبشر أن يكتشفوا كل شيء؟ هو مكتوب يا عبدالله، كل سر لابد له أن يكشف في يوم من الأيام.

سكت لوهلة أفكر في كلامها، وأحسست الآن بأني لا أشعر بالفزع منها، وكلامها صحيح! لقد خلقت الأسرار لكي تكشف!

نظرت إلى الكتّاب وقلت:

- وهل هذا يعني أن هناك أبوابًا كثيرة مثل باب يوناس الحكيم، يحكمها جن آخرون؟

قالت بنوع من الحماس:

- بالطبع! هناك ملايين الأبواب! وهناك أنوع كثيرة من الجن، وفصائل وأنواع وكل فئة خدماتها تختلف عن الأخرى.

- ولماذا الجن يخدمون الإنس؟

- لأن البشر خلقوا مكرمين أكثر من الجن، رغم وجودنا في هذه الدنيا قبلكم، وهذه أسرار كونية لا نتدخل فيها.

- وكيف أستفيد من خدمات الجن؟

مسكت يدي بطريقة غريبه وكأنها لا تريدني أن أهرب منها!

- في البداية لابد عليك أن تختار لك طريقًا، العالم العلوي أو السفلي، ثانيًا لكل جني طريقة تحضير كما فعلت مع يوناس الحكيم، وهناك أبواب مخفية لا يعلمها أحد سوانا نحن الجن.

لا أصدق ماذا أسمع! يا إلهي إذن جميع الأشياء حقيقية وهناك عالم مخفي عن البشر! كنت أريد أن أطلب طلبًا ولكني كنت مترددًا.

ضغطت على يدي بقوة وقالت:

- هيا تكلم.. قل لي ماذا تريد؟

- هل بإمكانك يا مريم أن تعلميني وتنوريني بهذا العالم، وتجعليني متمكنًا فيه، وأن أستطيع أن أحظى بخدمات الجن؟

- أنا لم آت إليك لكي أتركك يا عبدالله، سوف أكون لك كالظل، وسوف أجعلك تعرف جميع أسرار هذا العالم... ولكن لدي شرط!

قلت مستغربا: وما هو الشرط؟

- ألا تجعل زوجتك تبيت هنا، ولا تختلي بها ولو لمرة واحدة في الشهر، ولا تطلب مني أن أشرح لك أسبابي، وهذا الشرط غير قابل للنقاش!

قالتها بلهجة صارمة! لا أعلم كيف ملكتني بكلامها... لقد سحرتني! كنت لا أستطيع أن أرمش في حضورها، فقلت بكل استسلام:

- أنا موافق!

رأيت الفرح يتراقص في عينيها وقالت:

- حسنًا إذًا، ولكني أريد أن أخبرك بأني لا أستطيع أن أكون معك طوال الوقت، ولكن سوف تراني يوميًا.

- ولماذا لا تكونين معي طوال الوقت؟

أزالت يديها من يدي وأنزلت رأسها وقالت بكل خيبة:

- لأن الاختلاط والعلاقات بين الإنس والجن محرمة! وعائلتي تراقبني طوال الوقت، ولكني سوف أكون معك من غير أن يشعر أحد.

كنت أنظر لجمالها الخلاب وكأني لم أسمع ما قالته للتو رغم خطورته!

- لماذا تنظر إلي بهذا الشكل؟

مددت يدي ومسكت وجهها الناعم وقلت:

- هل هذا وجهك الحقيقي؟ أم انك تختفين وراء وجه آخر؟

ضحكت وخرج من فمها رائحة مسك وعنبر وقالت:

- مع الأيام سوف تعرف، والان تصبح على خير يا جميلي.

وبهذه البساطة اختفت من امامي!

منذ قديم الزمان وكانت نظرية الزواج بين الإنس والجن مادة دسمة للعديد من الناس، بل كان هذا الموضوع يطرح بكثرة في الجلسات التي تملؤها قصص الرعب والخرافات، ولا يوجد براهين علمية تثبت هذه النظرية، منهم من قال بأن هذا الزواج ممكن وموجود رغم خفائه، ومنهم من اختلف على طبيعة الكائن الذي سيولد من هذا الامتزاج الشاذ للطبيعة البشرية، فاختلفت الأراء، عدد من الناس

مقتنعون بأنه لو تم تزواج بين إنسي وجنية فالمولود سوف يخرج إنسيًا! ويعيش حياته من أب إنسي وأم جنية، والبعض الآخر قال العكس، ومنهم من قالوا بأنه من المستحيلات أن يتم الإنجاب، ولكن يبقى السؤال الأهم، هل هناك زواج بين الإنس والجن في عالمنا الواقعي... نعم!

- مخطوطة من كتاب الصوصافيون -

صرت أتهرب من أميرة وعائلتي وأقضي كل وقتي مع مريم! نخلوتي في غرفتي أصبحت تزداد وكانوا مستغربين لأنني لا أطلب الطعام والشراب منهم، كنت أكل وأشرب مع مريم، فلقد كانت تجلب لي كل شيء في مجلسي، وبلمح البصر!

من كان يظن بأن العالم الإنسي والجني مختلفان مخطىء تمامًا! فما أكثر من أننا نأكل ونشرب نفس الشيء!

كانت مريم تجلس بجانبي وأنا أقود سيارتي في احد الشوارع ، كم هو غريب هذا الشعور، بأن أراها أنا ولا يراها غيري! هم يرون المقعد خاليًا، وأنا أراه سعيدًا بجلوس أجمل الخلق عليه، وكانت هذه الجميلة تحدثني عن شيء غريب ومثير!

- على كل صوصافي جديد أن يمتنع عن جميع المأكولات التي قلت لك عنها، وأن لا يشرب إلا الماء، وهذا الشيء سوف يقوي من روحانيته، وهذه الخطوة

سوف تواجه بها صعوبات في البدايات، لأنك الآن معافى وبصحتك، والتحكم بشهوات الدنيا شيء صعب على أي شخص مهما كان قويًا، فعليك أن تحرم نفسك من جميع ملذات الدنيا لكي تصل لمبتغاك في عالم الروحانيات، وإن وصلت وفتحت لك بصيرتك، سوف ترى جميع الجن بكل يسر، كما أراهم الآن وهم يتجولون أمامنا في الشارع.

عندما قالت هذه الجمله أحسست بالفزع وخفضت من سرعتي، فضحكت وقالت:

- لن تستطيع أن تراهم ولا تستطيع أن تؤذيهم، لا تقلق!

أحرجت بعض الشيء منها، ولكني قررت أن أرجع لموضعنا:

- ولكني كيف أراكِ الان وأنا بصيرتي لم تفتح؟

- أنت تراني لأني أريدك أن تراني!

- هل هذا يعني أن لو بصيرتي انفتحت سأرى جميع الجن رغمًا عنهم؟

- بالضبط! وماحدث مع يوناس الحكيم هي فترة مؤقته ومرضك ساعدك في هذا، لأن روحك كانت صافية من المحظورات ولكن لم يكن لديك وردًا معينًا لكي تغوض في عالمنا.

توقفت عند أحد محلات العصائر وقلت لها:

- أشعر بأنني أحتاج أن أشرب شيء... أريد عصير ال..

وأكملت هي جملتي بعجاله:

- عصير البرتقال!

رأيتها مبهور فقالت لي:

- إنني أسكن في قلبك يا عبدالله.

جاء إلي الرجل الذي يعمل في المحل وطلبت، فقالت لي:

- أين ذوقك وكرمك؟ أريد أنا أيضًا عصير البرتقال!

لا أعلم إذا كانت تسخر مني أم لا! ولكني طلبت لها.

كان الهدوء يعم المكان فقلت لها:

- هل لديكِ إخوه؟

نظرت إلى السماء وقالت:

- نعم لدي خمسة وتسعون من أبي، وسبعون من أمي.

فتحت فمي مذهولًا وقلت:

- وهل تعرفينهم كلهم!

ضحكت وقالت: بالطبع أعرفهم كلهم، فهم إخوتي!

لم ألاحظ وجود الرجل أمام نافذتي وهو ينظر إلي بذهول، بالطبع يقول عني مجنون وأنا أتحدث مع نفسي حسب عالمه! ولكني أتحدث مع مريم حسب عالمي أنا.

أخذت رشفة من عصيري، فسمعتها تقول:

- لذيذ جدًا.

ألتفت إلى عصيرها بقربي فرأيته فارغًا! لقد شربته من غير أن تلمسه! لا أعلم لماذا ولكني بدأت بالضحك، وضحكت هي الأُخرى!

كان لدي العديد من التساؤلات:

- هل هو طبيعي للجن بأن يقعوا في عشق البشر؟

- عادة رجال الجن هم من يغرمون بفتيات الإنس، ولا يتركوهنَّ في حال سبيلهنَّ، وتصل في بعض المرات بأن يحرموهنَّ من الزواج ، أما بالنسبة لفتيات الجن فنادرًا ما يحدث عشق بينهم وبين البشر.

- إذن لماذا أعجبتِ بي أنا؟

غاصت يدها بشعري وقالت بكل حنان:

- لأنك من البشر النوادر يا عبدالله، فيك شيء مميز...يجذبني!

كلامها يجعلني أتوتر ولا أعلم السبب! أو ربما أعلم! لأنها من الجن!

ركنت سيارتي أمام منزلنا، فدخلت سريعًا ووجدت أبي وأمي وأميرة، وكانت نظراتهم تقول أننا كنا ننتظرك!

فركضت إلى الأعلى سريعًا من غير أن أتحدث معهم.

دخلت غرفتي وأغلقتها بالمفتاح وعندما ألتفت وجدت مريم تجلس على سريري مبتسمة، فقلت بنوع من التردد:

- إذن ماذا سنفعل اليوم؟

نهضت من مكانها وأخذتني من يدي وجلسنا على السرير وقالت بكل حماس:

- اليوم سوف أعطيك طريقة سهلة، فيها تدخل لعالم الجن، وتستفيد من خدمات جن علوي قوي جدًا، ولكن عليك أن تتبع تعليماتي بكل دقة.

- ولكن سابقًا قلتِ لي بأن علي أن أختار القسم العلوي أو السفلي، وأنا لم أختر إلى الان.

- أنت تريد القسم العلوي!

أسكتتني بردها... نعم أنا أريد القسم العلوي!

- أولًا عليك أن تصوم ثلاثة ليالٍ، ولا تفطر إلا على ما اتفقنا عليه، وشرابك هو الماء، وعليك بالخلوة في غرفتك ولا تتحدث لشخص ولو همسًا! ودعهم يأتون لك بالأكل إلى عتبة غرفتك، وإياك يا عبدالله أن تقرب من الثوم والبصل.

أحسست بربكة من كثرة المعلومات التي قالتها لي، فقلت:

- وهل هناك شيء آخر؟

- نعم... سوف تلبس ملابس بيضاء بالكامل، وسوف تشعل بخورًا معينًا، وستطفىء الأضاءة وتعتمد على الشموع، وسأراك بعد ثلاث ليالٍ وأنت ناجح في هذه المهمة.

- وكيف لي أن أتي بالبخور يا مريم؟ فأنا لا أعرف أنواعه.

- لن أجعلك تحتاج لشيء يا عزيزي، البخور سوف تجده تحت سريرك، وباب تحضير الجني سوف تدلك أصابع يدك عليه عندما تفتح الكتّاب، وتذكر بأنني أراقبك من بعيد، فلا تخذلني!

قالتها وأرسلت لي قبلة في الهواء واختفت!

نظرت إلى أسفل السرير ووجدت البخور، وأخرجت الكتّاب ومسكته، وعندما فتحته بشكل عشوائي، وقعت عيوني على هذه الصفحة التي بها طريقة تحضير جني إسمه -شامان-.

بدأت أقرأ الورد الخاص به باللغة السيريانية، كنت سأكمل ولكني تذكرت شيئًا! فأغلقت الكتّاب وخرجت من غرفتي وقلت لهم أن يعدو لي الأكل الذي أوصتني مريم عليه، وقلت لهم بأن يضعوه يوميًا عند الباب، بالطبع أميرة كانت تريد أن تناقشني ولكني نهرتها وبقوة! كنت

أجرحها وتتكسر أمامي، وما كان يحيرني بأن قلبي كان لا يلين عليها كما في السابق!

صعدت إلى غرفتي من جديد، وأشعلت البخور المطلوب، وأغلقت الأضاءة وأشعلت الشموع، وبدأت أتلو الورد الخاص بالجني شامان، فسرعان ما بدأت الحروف والكلمات بالاختفاء من الكتاب من جديد. آمل أن أتذكر وأسأل مريم عن هذه النقطة.

هناك عادات كثيرة عند العرب في الكرم. معظم الناس يريدون أن يشتروا هدية مميزة و ثمينة. فئة معينة منهم تحب إهداء البخور للناس، و كلما ما زاد حطيب رائحته، زادت قيمتة في السوق، فهو الهدية الثمينة والجميلة!

وهذا الكلام ليس في العالم البشري فقط، بل أيضًا موجود في عالم الروحانيات لدى الجن، فهم يعشقون البخور والروائح الجميلة، وعندما يبدأ أي صوصافي في العالم بتحضيرهم، فإنه يشعل البخور، وتكون هذه البادرة منه كالهدية والملاطفه للتقرب منهم، ولا ينجح أي عمل روحاني من غير البخور، لأنه يعتبر إهانة لهم، فكيف لك أن تذهب لحفلة عيد ميلاد من غير هدية!

قوة روحانية... تعب قد اختفى! طاقة إيجابية زرعت بي، بداية جديدة لمغامرة غريبة! كل هذه الأحاسيس كنت أشعر بها في الليلة الثالثة وأنا أتلو ورد الجني شامان! لقد صمت طوال اليوم وفطرت على طعام روحاني، في

البداية أحسست بأنني بلا قوة! ولكن مع استمراريتي بدأت أحس بقوة غريبة رغم أن الأكل لم يتغير!

هذه هي الليلة الثالثة التي لم أنطق بكلمة غير كلمات الورد، وكلماته كانت غريبة لأنها بالسيريانية، ولكني كنت أحفظها لأني أكررها كثيرًا، وفي الحقيقة أنا لا أعلم بمعنى الكلام! نومي كان خفيفًا، والإضاءة أيضًا خفيفة. كنت في خلوة تامة!

جلست على الأرض. كانت الساعة تشير إلى الرابعة فجرًا. كنت أغمض عينيَّ وأكمل في القراءة.

فجأة أحسست ببرودة شديدة! فتحت عيني فأحسست برعشة في جسدي بأكمله مما رأيته أمامي! رأيت ثلاثة أشخاص يجلسون على الأرض أمامي، شخص في المنتصف كان بدين الجسم، وقصير القامة، ذا رأس أصلع، وابتسامة غريبة تقشعر منها الأبدان، وكان وجهه خالٍ من أي شعر، إنه لا يملك حتى حاجبين! ما أفزعني أن يديه طويلتان جدًا! وممتدتان في الهواء وكأنهما مثبتتين بشيء، المنظر كالخدعة السحرية! كانتا يصلون إلى جسدي رغم أن بيني وبينهما ثلاثة أمتار!

وكان يقف خلفه رجلان على يمينه وشماله، إنهما توأمان! بشرتهما سوداء، ولدي كل منهما عين واحدة فقط لونها أصفر! جسدهما عريض جدًا، وكانا ينظران لي بطريقه مفزعه! ولاحظت بأن ثلاثتهم لا يرمشون! ولا يتنفسون!

وكأنهم أصنام!

كنت لا أعرف كيف أتصرف. هناك حدس في داخلي كان يقول لي بأن أكمل في قراءة الورد، وبالفعل أكملته بصوت عالٍ مسموع، وكان إحساسي على صواب! فبدأت عيونهم ترمش، وأحسست بأنهم يستنشقون الهواء، ولكن ما زاد فزعي، بأن المخلوق القصير ابتسماته تصبح أكثر رعبًا مع كل لحظه تمر وأنا أتلو الورد، إلى أن رأيته يستنشق الهواء بقوة! وكان دخان البخور ينسحب بطريقة سحرية إلى أنفه، فابتسم وقال بصوت مرعب:

- صوصافي جديد!

- كنت أشعر بقوة بداخلي رغم الخوف الذي يسكني! هل هي ثقة بنيت بي من عالم الروحانيات! قلت له بكل ثقة وبصوت قوي:

- أريد أن أعرف ما هي خدماتك، وأريد أن أحظى بها.

ابتسم لي بغرابة وقال:

- أنت بالطبع الآن على وضوء... صحيح؟

- نعم... لماذا!

- أذان الفجر باقٍ عليه أقل من دقيقة واحدة، هل تريد أن تصلي في مكان جديد لم تزره من قبل؟

-ماذا تقصد؟

- أغمض عينيك وأفتحهما بعد ثلاث ثوانٍ!

أغلقت عينيَّ وفتحتهما على صوت الأذان! كان قويًا وقريبًا مني جدًا، صوت خاشع جميل! لم أصدق عيني! إنني أمام الكعبة الشريفة!

جاء صوته من جديد يهمس في أذني:

- صل يا عبدالله في أطهر بقاع الأرض وعندما تفرغ سوف أرجعك مرة أُخرى بلمح البصر.

إلى الآن كنت لا أتمالك أعصابي، وجسدي بأكمله كان يرجف! كيف أكون في مكان وأصبح في مكان بهذه السهولة! عالم الروحانيات جميل جدًا، أنا لم أتِ لهذا المكان الجميل من قبل، ومن غير أن أشعر سقطت دموعي فرحًا! فسرعان ما مسحتهما وقررت أن أصلي.

كم هو جميل الخشوع في هذا المكان، لقد كنت بحضرة ربي العظيم، كنت قريبًا منه جدًا، وكنت لا أريد إنهاء صلاتي بسرعة، حتى بذكري للأيات الكريمه كان نطقي لها بطريقة بطيئة، وعندما انتهيت أخذت نفسًا عميقًا، كان الهواء هنا مختلفًا، هناك شيء رباني في هذا المكان، يجعلك تنسى هموم الدنيا ويرجعك طفلًا من جديد.

صرت أذكر ربي كثيرًا وأحمده على هذا السر الذي انكشف لي، وكنت أنظر لتعابير وجوه الناس الموجودة في

المكان، كم كانت جميلة... مريحة للعيون، شكرًا يارب على هذه الفرصة!

رغم أن ما سأقوله كان سيحطم قلبي ولكني قلته في داخلي:

- شامان... أمرك أن تنقلني من جديد!

جاء صوته مجيبًا بالطاعة:

- لك السمع والطاعة، أغلق عينيك.

أغلقتهما وأحسست بأني رجعت! وعندما فتحتهما وجدت نفسي على الأرض من جديد أقابل شامان ومن يقفون خلفه، فقلت له مستغربًا:

- هل ما حدث حقيقي أم كنتُ تحت تأثير شيء ما؟

نظر إلي نظره غريبة، وكأنني أهنته بكلامي:

- إنني أستطيع أن أنقلك من أي مكان إلى مكان آخر بلمح البصر، والآن هل تريد معاهدتي على شرط أن تتلو وردي يوميًا، أم تريد أن أذهب في حال سبيلي؟

هذا هو شرط كل جني، أن أذكر ورده يوميًا لكي أحتفظ به، وكنت إلى الآن أذكر ورد يوناس الحكيم، فأنا لا أريد أن أخسره هو أيضًا، فقلت له:

- دعنا نتعاهد!



أخرج من جيبه نفس الجريدة التي رأيتها عند يوناس الحكيم، لكنها كانت مختلفة في اللون، والكلام المكتوب عليها كان مختلفًا أيضًا!

مسكنا الجريدة واتلونا المعاهدة، فاختلفت الجريدة فجأة وقال:

- هل تأمرني بشيء آخر قبل أن أرحل؟

كنت سأدعه يرحل ولكن خطر في بالي شيء! فقلت له:

- أريد أن تنقلني إلى منزل الصوصافي!

نظر إلي ولامست التوتر في كلامه:

- ماذا؟ أي... صوصافي؟

- مؤسس حزب الصوصافيون، أريد أن أرى بيته.

لامست التردد لديه فقلت له بلهجة صارمة:

- هل تجرؤ على أن تعصيني يا شامان!

قال معتذرًا:

- لا يا عبدالله! لك السمع والطاعة، حسنًا... أغمض عينيك!

أغمضتهما وفتحتهما، وأحسست بأني نقلت لمكان حارًا جدًا! رأيت بأني موجود في مكان كبير جدًا! كان مبنيًا بطريقة مثلثة! يا إلهي هل أنا في المكان الذي أعتقد بأني

موجود فيه!

- نعم! أنت هنا! جاءني صوت شامان في ذهني.

لقد كنت في قاع الأهرامات! لابد بأنها حجزة سرية بناها الصوصافي ليعمل على خلواته الروحانية!

لا أظن بأن العالم يعلم عن هذا المخبأ السري. تلفت ورأيت أن المكان لا يحتوي على مساحة للنوم! كيف كان ينام يا ترى! وكنت أرى أن هناك الكثير من الذهب المركون. الجدران مكتوب عليها العديد من الأشياء! أظن بأنها مكتوبة بلغة الجن! ولكن هناك كلمتان قرأتها بالعربية!

"الإسقاط النجمي"

ترى ماذا يقصد فيها! ومازاد حيرتي أكثر، درجة الحرارة في المكان! إنني أشعر بالاختناق! كيف كان يختلي الصوصافي بهذا المكان؟

كنت أحاول أن أقرأ ماهو مكتوب على الجدار ولكني لم أكن أتقن اللغة السريانية! ذهبت وتفحصت الذهب الموجود، يا إلهي إنه كثير! من الممكن أن يغني دولة بأكملها!

لمحت صندوقًا كبيرًا أسود موجودًا في الجهة المقابلة من المكان، انتابني الفضول أن أرى ما بداخله! وبالفعل تقدمت نحوه وفتحته، وصدمت مما رأيته! وجدت أوراقًا وأقلامًا بيضاء حديثة الصنع! من المستحيل أن تكون

موجودة على أيام الفراعنة! وأيضًا وجدت هاتف جوال! كان جديدًا! لم يصدر في الأسواق إلا من خمس سنوات! كيف لهذه الأشياء أن تكون بحوزة الصوصافي!

هل هناك شخص آخر وصل قبلي إلى هذا المكان؟ ووضع هذه الأشياء هنا، رغم أن هذا الاستنتاج غير منطقي.

هل من الممكن أن الصوصافي كان ينتقل عبر الزمن! أيضًا هذه النظرية ضعيفة في عقلي، لكن لن أستغرب لو كان يفعلها، فعالم الروحانيات فيه العجب!

قررت أن آخذ الأوراق معي. منذ الوهلة الأُولى التي أمسكتها، جاءني صوت مرعب يصم الأذان!

- من هناك! كيف تتجرأ وتنتهك حرمة بيت " الصوصافيون "

فقلت مسرعًا بصوت عالٍ وأنا مغمض عينيَّ:

- شامان! انقلني الآن!

رأيت نفسي بغرفتي من جديد والأوراق في يدي. مازلت جالسًا على الأرض وأمامي شامان ولكن لم يكن خلفه أحد كالسابق! فقلت له بكل حزم:

- انصرف الآن وإن احتجتك سوف أناديك.

- لك السمع والطاعة!



وبهذه البساطة اختفى! نهضت وأنا أمسك بألاوراق المليئة بالغبار التي جلبتها من صندوق الصوصافي، ترى ما سر هذه الأوراق؟ وهل الصوت الذي سمعته هو صوت الصوصافي نفسه؟

وضعت الأوراق في الدرج ومن ثم استلقيت على سريري من شدة التعب، فلقد كان يومًا شاقًا! استعددت للنوم وأغمضت عيني، ولكني أحسست بوجودها تنام خلفي وتضع يدها على شعري وتقول:

- هل ستنام من غيري؟

التفت ورأيت أنوثة مريم الطاغية! فبدأت بتقبيل يدها الناعمة بكل حنان وحب، ومن ثم حدث مالم أتوقعه! لقد عاملتها معاملة الزوج... لزوجته!

هل حلمت في مرة أنك تحلق في أعلى السماء؟ أو أنك تسقط من أعلى مبنى معين؟

كثرة التساؤلات والاستنتاجات حول هذا الموضوع! إختلف الكثيرون فيه، هناك من قال بأن هذه الأحلام تأتي من دواعٍ نفسية! ولكن لو سألنا أنفسنا سؤالاً واحدًا. هل هي بالفعل أحلام؟ لو كان الجواب لا! و إنك بالفعل كنت تطير أو تسقط من أعلى مبنى هل سوف تصدقني؟ لا يهم ذلك يا عزيزي! فأنا متأكد بأنه ليس حلمًا إنه واقع!

لكل إنسان في هذه الدنيا جسمان، جسم مادي، وجسم نجمي. الجسم المادي هو الذي تتحكم فيه منذ أن تفتح عيونك، وهو الذي تستفيد من جميع خواصه، كالمشي والتكلم والأكل، فهذا هو جسمك الخاص!

ولكن عندما ينام الشخص يظهر جسمه النجمي! فمنذ اللحظة التي تدخل في عالم الأحلام، يخرج الجسم النجمي من الإنسان، ويتجول في أي مكان في العالم!

هل تريد أن تعرف أين يذهب الجسم النجمي؟ عندما ينطلق منك، فهو يستطيع أن يسافر من مكان مبيتك إلى أبعد الكواكب والمجرات بلمح البصر! ويستطيع أن يرى الجميع دون أن يراه أحد.

أي أنك عندما كنت تطير أو تسقط من مكان، أنت كنت تعيش هذه التجربة بالواقع لكنك لا تتذكر إنك تستخدم جسمك النجمي! وإن سألنا أنفسنا هل هناك طريقة لكي نشعر ونحن نستخدم جسمنا النجمي؟ فسوف أقول لك نعم! والحل يكمن في طريقة "الإسقاط النجمي".

- مخطوطة من كتاب الصوصافيون -

كنت أجلس على السرير ومريم أمامي، وكانت نتكلم عن موضوع ما، لكني كنت شارد الذهن، فقاطعتها وقلت وأنا مصدوم:

- لماذا لا تجيبيني يا مريم! هل تعلمين ماذا فعلنا ليلة

البارحة؟ لقد ارتكبنا ذنبًا لا يغتفر! ولا يجوز على أي مسلم!

اقتربت مني وقالت بدلال أنثوي!

- أنت لي وأنا لك، وفي يوم من الأيام سوف نتزوج.

- وكيف نتزوج وأنا بشري وأنتِ جنية! هل نسيتِ بأن عشيرتك لن يتفهمو، والأهم من ذلك أنا متزوج!

رأيت علامات الغضب في وجهها عندما قلت كلمة -متزوج- فقالت بعصبية:

- أنا لا أهتم بزواجك وأنت لي وأنا سوف أعصو قبائل الجن أجمع حتى لو اكتشفوا علاقتي بك، لن أتخلى عنك أبدًا.

لم أستطع أن أرد عليها! فما أمر به حاليًا هو... خيالي! مسكت يدي بحنان وقالت:

- انسىَ هذا الموضوع الآن، وافتح الكتاب ودعني أعلمك شيئًا جديدًا.

نظرت إلى عينيها الجميلتين وقلت:

- أريد أن أعرف عن الإسقاط النجمي.

لم أنسىَ هذه الجملة التي رأيتها على جدار الصوصافي، فقالت وهي مبهورة:

- وكيف تعلم عن هذا الموضوع؟ أنا متأكدة بأن الإسقاط النجمي غير موجود في كتاب الصوصافيون!

- لا يهم كيف عرفت! الأهم أنني أريد أن أعرف.

أخذت نفسًا عميقًا ومن ثم قالت:

- لو قلت لك أن لديك جسمين وليس جسمًا واحدًا... ماذا ستقول؟

- هل هذا لغز؟

ضحكت وقالت:

- لا، بل هذه إجابتي على سؤالك، فأنت لديك جسمك المادي ولكن إن أردت أن تستخدم الإسقاط النجمي، فسوف تستخدمه!

كنت تائهًا في حديثها، رأت ذلك في تعابير وجهي، وقررت أن تكمل:

- الإسقاط النجمي هو أن تكون واعيًا في نومك، أي أن جسمك يكون نائمًا، بينما عقلك في قوة نشاطه! عندما تخلد للنوم، جسمك النجمي ينفصل عن جسمك المادي، ولكن لا يكون الانفصال كاملًا، بل يربطهما حبل وهمي، فقط لكي يرجع الجسم النجمي لمكانه الطبيعي من جديد، وهذه العملية تتم مع كل بشري في هذه الكرة الأرضية ولكنهم لا يعلمون!



وعندما تنجح في الإسقاط النجمي، تستطيع أن تفعل العجائب! فالانتقال من مكان الى آخر يكون بسرعة لا تصدق! ويمكنك تكوين عالم خاص بك، وتتحكم في جميع تفاصيله، ولكنه لا يمت للواقع بصلة! ويمكنك أن تلتقي بأشخاص آخرين يمارسون الشيء نفسه، وتتحدث معهم! بل تذهبون معًا من مكان الى آخر!

وعملية الإسقاط ليست سهلة أبدًا، فهي تحتاج للمثابرة وعدم الاستسلام، وتحتاج للهدوء وجعل جسمك مسترخيًا.

- وعندما أنجح في عملية الإسقاط النجمي، أستطيع أن أنتقل من مكان الى آخر؟

ضحكت وقالت:

- ما نتكلم عنه سهل جدًا، ولكني أحدثك بأنك تستطيع أن تنتقل من كوكب الأرض إلى المريخ بلمح البصر، من مكانك إلى مجرة أُخرى! ما نتكلم عنه شيء ليس بالهين!

أنتقل من كوكب الأرض إلى كواكب أُخرى! ومن مجرتنا إلى مجرات أُخرى! هذا شيء لا يصدق!

- وهناك شيء أكبر من ذلك، باستطاتك السفر عبر الزمن سواءًا بالماضي أو المستقبل، ولكن لا تستطيع أن تغير أحداث الطرفين.

إذن هل هذه كانت الطريقة التي يعمل بها الصوصافي؟

هل انتقل للمستقبل وأخذ الأوراق والهاتف؟ أظن ذلك!

سمعنا كثيرًا عن السفر عبر الزمن! وهناك من يؤيد ومن يعارض! وفئة كثيرة تستهزئ بهذه الفكرة التي يظنون أنها ضرب من الجنون! وعلى مر السنوات رأينا صورًا غريبة! ذات مرة رأيت صورة لامرأة وهي تتحدث بالهاتف، وفي زمنها لم يخترع الهاتف المحمول بعد! تمامًا كالصوصافي! كان يحمل هاتفًا محمولاً وهو في زمن الفراعنة! بمجرد أن أقول لنفسي هذه الجملة، أُصاب بالفزع!

نهضت من مكاني وقلت لها:

- إذا ماذا ننتظر؟ دعينا نبدأ ، هل نحتاج للبخور؟

- لا! لا تحتاج إلا أن تكون صائمًا بشكل روحاني، وأنت كذلك الان، إذن أنت جاهز! ولكن إياك أن يدخل فيك اليأس لو فشلت بالبداية.

جعلتني أجلس على كرسي وأغلقت الإضاءة، وأشعلت الشموع، وطلبت مني أن أغلق عيني وأن أذهب بذهني لمكان هادئ، وأرخي عضلات جسمي بالكامل. تخيلت نفسي مستلقيًا على رمال الشاطئ، ولم يكن هناك أحد غيري، كنت أسمع صوت البحر الجميل، ونسمات الهواء الباردة تضرب وجهي وتجعلني أسترخي، سمعت مريم تهمس لي:

- أريدك أن تشعر بأن روحك خفيفة جدًا.. بل شفافة!

أريدك أن تنعزل عن العالم بأكمله، وتستمع لصوتي أنا فقط، جسدك هو بيتك، وأنت تريد أن تخرج من البيت، وتذهب لمكان آخر، لا تضغط على تفكيرك أو جسدك، اجعل كل شيء يسري بشكل طبيعي، أريدك أن تشعر بأنك ورقة منديل... وتطير!

كنت أشعر بكلام مريم كله وكنت أريد أن أطبقة ولا أعلم لماذا فتحت عيوني فجأة!

رأيت مريم تهز رأسها نفيًا، فعلمت بأنني قد فشلت! أعدنا الكرة من جديد مرتين وثلاثًا وأربعًا! ودخل علينا الفجر وكل ما بي قد ضجر! فنهضت من الكرسي غاضبًا وقلت:

ـ إن الموضوع صعب جدًا يا مريم! لا أستطيع ذلك!

تقدمت إلي بضع خطوات وهي طائرة عن الأرض! وأجلستني من جديد على الكرسي وقالت:

- أنت تستطيع ذلك يا عبدالله! وسوف تنجح... فقط ثق بي!

هناك مقولة دائمًا ما كانت تعجبني، تقول بأن السهم يحتاج للرجوع للخلف ليستعد للانطلاق، فلماذا دائمًا نحزن عندما نفشل في بادىء الأمر، نعم سوف أحاول من جديد! وسوف أنجح!

هذه المرة غيرت المكان في ذهني، من الشاطئ إلى مكان لا أعلم كيف أتذكره، حضن أمي! تخيلت نفسي طفلًا

وهي تحتضني، ولا تريد أن تخرج حتى أنفاسها لكي لا توقضني من حضنها، كم هي حنونه... الأم!

استمررت على هذه الحالة لفترة طويلت وأقنعت نفسي بأني سوف أخرج من جسمي! وفتحت عينيَّ ورأيت مريم وهي تبتسم لي! ترى لماذا تبتسم وأنا قد فشلت من جديد! نهضت من الكرسي بكل غضب وأعطيتها ظهري محاولًا إمساك أعصابي، فأنا لا أحب أن أفشل! وعندما أدرت وجهي إليها، رأيت ما صدمني! لقد رأيت نفسي جالسًا على الكرسي إلى الان! يا إلهي لقد نجحت! نظرت إلى أقدامي فلم أجدها فأحسست بدوار وفزع! لقد كنت أطير عن الأرض، تكلمت وسمعت صوتي حمل صدى غريبًا:

- لقد نجحت يا مريم!

- نعم نجحت يا عبدالله! سوف أتركك الآن تفعل ما يحلو لك، وعندما تنتهي ارجع إلى جسدك بكل هدوء... احظ بالكثير من المرح! ولا تنسَ أن تتغلب على مخاوفك ولا تجعل -إسقاط الخوف- يتغلب عليك. قالتها واختفت!

شعرت بدقات قوية في قلبي! كيف أحس بقلبي وأنا خارج جسدي! إنه شيء غريب فعلًا! بدأت أسمع أصواتًا غريبة! همسات لناس غير موجودين في الغرفة! كان الصوت مشوشًا وغير واضح، بل رؤيتي أيضا كانت غير واضحه!

فجأة سمعت شيئًا جديدًا! أصوات فحيح! التفت فوجدت أكبر مخاوفي تنتشر في الغرفة! كانت الثعابين منتشرة في كل مكان، أحسست بالدوار! فأنا أعاني من - فوبيا - الزواحف - وخاصة الثعابين، تذكرت كلام مريم، هل هذا هو إسقاط الخوف! قررت أن أقنع نفسي بأن ما يحدث خيال وليس واقعًا! وهذه هي أعراض الإسقاط النجمي، أغمضت عينيَّ وقلت:

- إنه ليس حقيقيًا... إنه ليس حقيقيًا... إنه ليس حقيقيًا!

ومرت الثواني واختفى الصوت! فتحت عينيَّ من جديد ووجدت كل شيء أصبح طبيعيًا! فرحت بأني قد نجحت.

توقفت أمام جسدي الجالس على الكرسي! وبدأت أرى وجهي وتفاصيله، وكأنها هي المرة الاولى التي أرى فيها ملامحي! لمست وجهي... أو وجه جسدي حاليًا! فأخترقت يدي رأسي وكأنني أصبحت شبحًا! فقلت لنفسي: إذن أين سأذهب؟

أول ما خطر في ذهني هو ضرب من الخيال، ولكنه من الممكن حدوثه في هذه التجربة. سألت نفسي ماذا يوجد خارج الغلاف الجوي؟ ماذا يوجد خارج الكرة الأرضية؟ لا! دعوني أذهب لمجال أوسع، ماذا يوجد خارج مجرتنا؟ فقررت أولًا أن أخرج من الكرة الأرضية، وعندما فكرت

فيها انتقلت بلمح البصر! نظرت إلى الأسفل، فوجدت نفسي طائرًا فوق الكرة الأرضية! كان المنظر خلابًا... جميلاً... سيصيبني بجلطة قلبية! فكل ما بي كان يرتعش! كنت كالمركبة الفضائية، لأول مرة لا تتحكم بي الجاذبية! وكيف تتحكم بي وأنا في الفضاء! كنت أريد تشبيه نفسي بالطائرة، ولكن حتى الطائرة لم تصل لمكاني الآن!

فجأة! أحسست بجسم يطوف من جانبي بسرعة! في بادىء الأمر ظننت أنني أتوهم ولكن المشهد تكرر مرة أخرى! وسرعان ما صار هذا الشخص... شخصين، وثلاثة وعشرة أشخاص! وأصبحوا يتواجدون حولي وهم مبتسمون ومبهورون حالهم كحالي تمامًا، فعرفت أنهم صوصافيون جدد! هم يعيشون التجربة للمرة الأُولى... مثلي! كانوا لا يتحدثون مع بعضهما البعض، وكنت أنا لا أريد أن أتحدث مع أحد! فأنا لم أختلط مع الكثير في العالم الواقعي، فكيف أختلط في عالم الروحانيات؟

ظللت مستمتعًا لثوان بسيطة ولكني قلت:

- أريد تجربة شيء مختلف!

أريد أن أنبهر أكثر! نخطر على بالي أن أخرج من هذه المجرة بأكملها! عندما فكرت في الموضوع... ذهلت من نفسي! من كان يتوقع أنه يستطيع أن يخرج من مجرتنا؟ وأن يذهب إلى آخرى، لا أعلم أسماء المجرات الموجودة، ولكني قلت إنني أريد أن أنتقل لأبعد المجرات!

أحسست أنني قد وصلت! شعور الانتقال يؤلم بعض الشيء، أحس بقليل من الكهرباء تسري عبر جسدي عندما أقوم به.

أين أنا؟ إنني طائرًا في الفضاء ولكن هذه المرة السماء التي أتواجد بها لونها أخضر! عندما نظرت إلى الأسفل صعقت! رأيت كوكبًا شبيهًا بالأرض، يشع بالحياة! ولكن لونه أصفر! كنت لا أصدق عيني، فأنا لم أسمع بكوكب مثل الذي أراه الان! وأعلم أنه لا يوجد أحد قد سمع عن هذا الكوكب، لأنه ببساطة يقع في أبعد المجرات التي من المستحيل أنها اكتشفت من قبل أحد!

سألت نفسي هل أدخل هذا الكوكب وأرى ماذا يوجد به؟ لم أكن أملك الشجاعة الكافية، ولكن فضولي كان يقتلني! فهذه الفرصة من الممكن ألا تتكرر مرة أُخرى، أنا! أكتشفت إكتشافًا لم تعرفه البشرية من قبل!

وبالفعل صرت أقترب من الكوكب أكثر فأكثر إلى أن دخلت في محيطه. رفعت رأسي وأحسست بأن حواسي تعطلت من هول المنظر! هناك العديد من البشر هنا! وأراهم يعيشون بطريقة... طبيعية! ولكن كل شيء هنا بالمقلوب! رأيت المباني مبنية في السماء والناس يمشون عليها، والأرض خالية! كل شيء مختلف هنا عن كوكب الأرض، ولكن مهلًا... من هؤلاء الناس؟ هل يعقل أن هناك بشرًا غير الموجودين بكوكب الأرض! وكيف لا

أحد يعلم عن الآخر؟ تجولت بينهم وبالطبع لا أحد منهم يلاحظني، يا إلهي إنهم فعلًا بشر! في بعض اللحظات أشعر بأنني أحلم! ولكن عقلي يقول لي بأنه واقع يا عبدالله!

توقفت عند أحد الأشخاص الذي يملك -كشكًا- يبيع فيه الصحف، القيت نظرة على الصحيفة الموجوده، فوجدت أن اليوم هو -ماولازا-.

أي يوم هذا يا ترى! ورأيت التاريخ هو 984 من شهر -ث- سنة 7825.

هل هذا لغز! أنا لا أفهم شيئًا على الإطلاق! شعرت بأنني في حلم مفزع جدًا! فقررت أن أهرب منه! وبالفعل انتقلت إلى غرفتي من جديد!

وعندما قررت أن أرجع لجسدي من جديد، قلت في نفسي بأن هناك شيئًا أريد تجربته! السفر عبر الزمن! الشيء الذي نراه في الأفلام ونسمع عنه في القصص الخياليه، اليوم أصبح حقيقيًا وأستطيع أن أعيشه!

كان في ذهني حقبة معينه! اختلف العديد من الناس على صحتها! وإلى يومنا الحالي لا نعلم هل هي حقيقية أم لا! الحقبة التي أقصدها هي حقبة -الديناصورات- هل بالفعل كانت موجودة؟ هناك روايات كثيرة حول هذا الموضوع، هناك أشخاص يأكدون أن الديناصورات موجودة قبل أكثر من - 200 مليون سنة- وهناك دومًا سؤال يذكر في

هذا الموضوع، لو كانت الديناصورات بالفعل موجودة... ماذا كان يوجد معها في ذلك الوقت؟ مستحيل أنها كانت وحدها! هناك من كان يقول أن كانت توجد فئة من المخلوقات معها، ولا يعلم إن كانوا بشر أم لا! والعديد من النظريات التي تم طرحها خلال السنوات الماضية، كانت نظريات لا أكثر، ولا أظن بأن هناك طريقة للتأكد إلا بالسفر عبر الزمن! وقد فعلتها وانتقلت إلى ما قبل الـ200 مليون سنه!

عندما التفت حولي وجدت نفسي في صحراء لا تملك أي ملامح! هل بالفعل لا توجد مخلوقات في هذه الفترة! بدأت أمشي وكان سكون المكان غريبًا جدًا! لحظات بسيطة جعلتني أشعر بالضجر، كنت سأرجع إلى غرفتي من جديد، ولكن شيئًا ما جعلني أتوقف ولا أتحرك!

اهتزت الأرض مرة... مرتين... ثلاثة! وسمعت صرخة تصم الأذان! التفت فوجدت ما أكد جميع الظنون خلال السنوات التي مضت! إنه ديناصور! ضخم جدًا! ذو ملامح مرعبة! وطول يصل إلى السماء البعيدة! ومع كل صرخة يصرخها تظهر أنيابه الكبيرة الشرسه!

كان منظر الديناصور وحده مرعبًا جدًا، فكيف لي أن أصف الأشخاص الذين يمتطونه! كانوا ثلاثة، طولهم غريب! لا أبالغ لو قلت بأنه يصل إلى أربعة أمتار! وأياديهم أيضًا طويلة بشكل غريب! يذكروني بأيادي الجني

شامان! ولاحظت أن آذانهم ملتوية وحجمها متوسط، لم يكن شكلها بشريًا إطلاقًا! ولكن إن لم يكونوا بشر، فمن هؤلاء؟ وكيف يتواجدون في هذه الحقبة؟ أرى الديناصور يركض بهم وكأنه حصان مطيع! ترى إلى أين يذهبون! لحقت بهم طائرًا إلى أن وصلوا لمنطقة، كانت صحراء وفي وسطها بركة ماء كبيرة جدًا، وحولها ديناصورات كثر! وأيضا هناك الكثير من البش... لا أعلم إن كانوا بشر أم لا! ما أراه منظر مفزع! شعوري الآن هو شعور شخص يقف أمام إعصار مخيف، رغم اختلاف المناظر إلا أن إحساس الخوف مشترك بينهم!

غلبني شعور الخوف وتساءلت هل من الممكن أن يرجع لي -إسقاط الخوف- حتى ولو كنت مسافرًا عبر الزمن؟ قررت أن أنهي ظنوني وأن أرجع إلى غرفتي وأنهي هذه المغامرة الغريبة!

وعندما رجعت قررت إنهاء الإسقاط النجمي، لم أعرف ماذا أفعل لكي أرجع طبيعيًا! فجلست على جسدي بشكل عفوي، أحسست أنني أختنق! فاستنشقت الهواء بطريقة قوية... وعدت إلى الواقع!

خلال هذه الأشهر كنت قد استحوذت على العديد من الجن، يقدمون لي خدماتهم، وصرت في اليوم الواحد أتلو أكثر من خمسين ورداً خاصًا بهم، فقط لكي أحافظ عليهم ولا أخسرهم، ولكن بدأت أحس أن الموضوع أصبح

مملًا بالنسبة لي، وأريد المزيد!

صرت لا أرى عائلتي أبدًا، رغم أننا في بيت واحد، وزوجتي أميرة أصبحت لا تريد رؤيتي، وتبيت في منزل عائلتها. لا ألومها على ذلك، ولكن في الوقت نفسه، أنا لا أهتم لموضوعها! صرت ضعيف البنية، السواد يسكن تحت عيوني! لا أكل سوى الأكل الروحاني، ولا أشرب إلا الماء.

في هذه الفترة كنت أشعر أن فصول كتاب الصوصافيون، قد شارفت على الانتهاء، لأننا أنا ومريم لا نتعامل إلا مع أبواب الكتاب الخاصة بالجن العلوين، كنت أرى العديد من الفصول للجن السفلين، وأريد بين الحين والآخر أن ألقي نظرة عليهما، ولكن مريم كانت تمنعني! وتقول بأننا مسلمون ولا يجوز أن ندخل في هذا العالم المظلم! كنت أقضي جميع وقتي معها، مرة من المرات حضرت معها زفافًا لصديقتها الجنية! كان الموقف غريبًا جدًا! حضرت وكأنني شخصًا من الجن! وطريقة نقلي إلى العرس كانت مرعبة! رغم أنني انتقلت إلى العديد من الأماكن!

كان الزفاف عاديًا جدًا، مليء بالفرحة والموسيقى، لاحظت أن ملامح الجن الموجودين غريبة بعض الشيء، سواد عيونهم مفزع! جلست مع مريم طوال الحفل، وفي النهاية حدث شيء اقشعر منه بدني! لقد رأيت خلواتهم

الزوجية تحدث أمام الجميع! صدمت وقالت لي مريم أن الأمر طبيعي ويحدث مع الجن السفليين! لم أكن أعلم بأنني أحضر زفاف أشخاص من الجن السفليين! كم هي غريبة مريم! لا تريدني أن أختلط مع الجن السفليين وهي تخالطهم وتحضر زفافهم! عندما انتهى الزفاف وصرنا في غرفتي، سألتها عن هذا الموضوع، فقالت لي:

- لو قابلت شخصًا مسيحيًا في يوم من الأيام، وأراد أن يتحدث معك، هل تستجيب له وأنت مسلم؟

- بالطبع سوف أستجيب!

- ولماذا؟

- لأنني لي ديني وله دينه!

- هذا جوابي لك يا عبدالله، أنا أخالفهم وأصادقهم، ولا أحاسبهم على ما يفعلون، وأنت لو استخدمت الجن السفليين، فسوف يدخلونك في عالم الكفر! ولن تكون وحدك! فأنا سوف أتضرر معك!

قلت وأنا مستغربًا:

- ولكن كيف تتضررين؟

- لأنني زوجتك.

قالتها بكل برود وتركتني مصدومًا! أحسست بثقل في لساني وأنا أقول:

- ولكن... متى أصبحت... زوجتي؟

- من الان! إن كنت تريدني أن أبقى معك وأن تريح ضميرك من علاقة غير شرعية، فسوف تتزوجني الآن! والشرع حلل لك أربع زوجات، ولن أمانع أن اكون الزوجة الثانية، رغم أن هذا الأمر يمس كرامتي، ولكني سوف أتنازل لأنني أحبك.

قربت مني وقالت بنبرة غريبة كعادتها! نبرة تجعلني أهدي حياتي بأكملها لها:

- هل أنت موافق! قالتها وأخذت تقبل يدي بكل حنان، فقلت وأنا لا أعلم إن كنت بوعيي أم لا!

- نعم... موافق!

عندما قلتها نهضت من مكانها، وذهبت إلى الجدار وقالت بلهجة صارمة:

- تستطيعون أن تدخلون الان.

فدخل ثلاثة رجال، أفزعوني قليلًا! واحد منهم طويل ويلبس رداءً أسود وبيده جريدة بيضاء.يضع نظارة طبية كبيرة شكلها غريب، لكنه لا يملك عينين! معه شخصان أيضًا لا يملكون عيونًا! قصار القامة، بشرتهم سوداء، ويلبسون رداء أبيض، وجسمهم مليء بالشعر الكثيف من جميع جهاته، فقالت لي مريم:

- لا تفزع! هذا من سيزوجني بك رسميًا في سجلات الجن.

كانت تشير إلى الرجل ذو الرداء الأبيض، وأكملت حديثها:

- هذان هم الشاهدان، وزواجنا سوف يكون سرًا، وكل شيء له مقابل بالطبع!

قالتها ونظرت إليهم بحزم!

مد لي الجريدة. قال بصوت هادئ:

- أمسك الجريدة يا عبدالله إن كنت تقبل بمريم ابنة محمد زوجة لك.

لأول مرة أعلم بأن اسم أبيها محمد! مسكت الجريدة وأنا أرى وجهه الغريب الخالي من العينين، وقلت:

- أقبل بها زوجة!

فقال الشاهدان بنبرة عسكرية:

- ونحن نشهد على ذلك!

- أعلنكم الآن زوجًا وزوجة! قالها واختفى هو وشاهداه!

التفت إلي مريم ولا أعلم هل هذا خيال أم إنني بالفعل أراها أكثر فتنة من قبل! أخذتني من يدي وذهبنا إلى سريري... أو سريرنا، وحدث ما يحدث يوميًا، ولكن هذه

المرة وهي زوجتي!

ذات يوم طلبت مني مريم أن تغيب لبعض الأيام، قالت لي إنها سوف تنشغل مع عائلتها في بعض الأمور، وقد أصبحوا لصيقين بها، ولا تريد أن يشعروا بأي شيء، فهي لا تريد كشف زواجنا في الوقت الراهن!

أهملت جميع أورادي الروحانية الخاصة بالجن، وكانت تأتيني تحذيرات منهم ولم أكن أهتم. تفكيري بأكمله ينصب على أفكار أُخرى! قطعت كل شيء، ولكني أكملت في صيامي الروحاني. كنت أرى الجن وهم يعبرون ويرحلون ببساطه أمامي يوميًا، ومنهم من يلقي السلام، ومر الوقت وخسرت خدمات يوناس الحكيم والجني شامان وغيرهما!

رغم تحذير مريم لي عن عدم إلقاء نظرة على أقسام العالم السفلي، لكن كلامها لم يهزني كثيرًا، وعندما أضع الشيء في ذهني، دائمًا ما أتمسك به. كنت أريد أن أتعلم وأجرب كل شيء! أريد أن أستكشف هذا العالم السفلي، ترى ماذا يوجد فيه؟ وما الخدمات التي سوف أحظى بها من الجن المختصين بهذا العالم.

أمسكت الكتاب وكنت سأفتحه وأغوص في كنوزه، ولكني تذكرت شيئًا جعلني أتركه. أوراق الصوصافي التي جلبتها من مسكنه! نهضت من مكاني وذهبت لكي أتأكد بأن باب غرفتي مقفول، وعندما رأيته مقفولًا قلت

لنفسي بأنه لا أحد يهتم بي لكي أفتحه، فقد صرت منبوذًا في البيت، لا أحد يريد أن يتحدث معي، والجميع أصبح يهابني، ولا ألومهم حقًا! ذهبت للدرج وأخرجت أوراق الصوصافي، كان يملؤها الغبار. فتحت أول صفحة فرأيت أول كلمتين باستقبالي: -مذكرات صوصافي-

قرأت البداية، كان يتكلم عن مذكراته اليوميه، ماذا يفعل. ماذا يأكل، من يخالط! والأهم من ذلك هو سبب كتابته لهذه المذكرات. يقول بأن من سيقرأ هذه الكلمات من الممكن أن يصدقه، ولكن لو نقل الكلام لشخص آخر لقال عنه مجنون ومريض نفسيًا. يقسم بأن ما يقوله حقيقي، ولكن البشر يولدون ويكبرون على أُسس لا تتغير، وكان يتهم المجتمع بأنهم يغلقون أبواب العلم عن الأجيال، ولا يسمحون لهم أن يتعلموا ولا يسمعوا إلا بعلماء -محدودين- ولكن لابد أن يأتي إلى هذا العالم يوم، ويقف إحترامًا للصوصافيون!

كان يتكلم ويجعلني أتوه معه كثيرًا، فهو موجود منذ أيام الفراعنه، ولكنه يتكلم وكأنه يعيش معنا إلى هذا اليوم! هل سافر عبر المستقبل وعرف جميع ما يكتب عنه! أم أنه يعيش إلى يومنا الحالي، لا أعلم حقًا!

استمررت في القراءة، وكانت تمر علي معلومات أعرفها مسبقًا من كتاب الصوصافيون، لكن وقفت عند فقرة في الكتاب شدت انتباهي كثيرًا، كان يقول فيها الصوصافي:

- قبل أن يساعدني الجن في بناء الأهرامات، كنت أريد أن أخذ الإذن من فرعون لكي أبدأ، في البداية سخر مني وقال لو أعطاني ألالاف الرجال لن أستطيع أن أطبق فكرة بناء الأهرامات.

لم أحزن من استهزائه مني! لأن السر الذي أحظى به لا يصدقه أي عقل بشري! حتى لو كان هذا العقل... هو عقل فرعون! طلبت منه فرصة واحدة فقط، وطلبت أن يجلب لي عون ألف رجل فرعوني، بشرط أن يعملوا صباحًا ومساءًا، بلا كلل أو ملل، نعم الأهرامات الموجودة الآن، بنيت من قبل ألف فرعوني ولكن بمساعدة الجن، وبإشرافي أنا!

عندما بدأنا بالعمل كنت أوصل تعليمات الجن للرجال، وسرعان ما يخلدون للنوم ويصحون على أعمال لم ينجزوها. الجن هم من كانوا يقومون بذلك، في تلك الفترة كنت أحظى بخدمات العديد من ملوك الجن. انتهينا من بناء الأهرامات في وقت قياسي، صُدم فرعون مني وذكاؤه لم يجعله أن يسكت! من بعد الاحتفالات والفرحة ومن بعد ما قال فرعون للجميع أن فكرة بناء الأهرامات كانت فكرته. مرت أيام بسيطة وصحيت ذات يوم على صوت حرس فرعون! كانوا يسحبوني من رجلي على الأرض، لم أكن أعي تمامًا ما يجري! صرخت عليهم:

- ماذا تفعلون!



فضربني شخص على رأسي وجعلني أفقد وعيي!

استعدت وعيي من جديد على كمية مياه ملقاة على وجهي، فتحت عيوني بصعوبة ووجدت نفسي راكعًا بالقوة أمام فرعون، فقال لي غاضبًا:

- كيف فعلتها!

رغم أنني أعلم عن ماذا يتحدث، ولكني قلت بكل بلاهه:

- فعلت ماذا؟ ماذا يجري!

نهض من مكانه وقال:

- كيف نجحت في بناء الأهرامات بهذه السهولة وبهذا الوقت القياسي؟ وكيف للرجال أن يخلدوا وينهضوا ويجدوا أعمالًا لم ينجزوها؟

لم أنطق بأي كلمه وبقيت أنظر إليه، فبرقت عينه وقال لأول مرة بنبرة يملؤها الذهول:

- أنت تملك سرًا... قل لي ماهو!

كنت آخذ أنفاسي بصعوبة فقلت:

- مولاي... أنا لا أملك أي سر... صدقني.

رجع مرة أخرى وجلس وقال بكل هدوء وثقه:

- لا يوجد سر في هذه الدنيا يمكنه أن يخفى عن

فرعون الأعظم! سوف أطلق سراحك فقط لأنك بنيت الأهرامات، ولكني أمهلك ثلاث ليال لا رابع لها، إن لم تقل لي ماهو سرك، فسوف أقطع رأسك.

أطلق سراحي وذهبت إلى منزلي، كنت أفكر! وفي الواقع كنت متوقعًا أن يحدث كل هذا، فتكبر وغرور فرعون لن يسمحا له بأن يمرر هذا الموضوع مرور الكرام، هو يحب أن يكون المسؤل، وأن يعرف كل صغيرة وكبيرة في هذه الدنيا.

واحدة من أهم الأشياء التي فعلتها ولا أحد يعرف بسرها، هي أنني طلبت من الجن بناء حجرة كبيرة -سرية- تكون في أعماق الأهرامات، علمت بأنها سوف تكون مكانًا مناسبًا لخلواتي الروحانية، وأيضا من الممكن أن تكون في يوم من الأيام ملاذي الأول من العالم ومن... فرعون!

في أول ليلتين كنت أسير نهارًا بكل ثقة وأريحية، وكنت أرى عيون الناس محدقة بي، فجميعهم كانوا يتهامسون عن إمكانية قطع رأسي من قبل فرعون!

وفي الليلة الثالثة رأيت جنود فرعون يلاحقوني، فأردت أن أصيبهم بالجنون! فعندما اقتربوا مني لكي يأسروني، طلبت من الجن أن ينقلوني بسرعة إلى حجرتي السرية، وبهذه البساطة اختفيت من أمامهم، وجعلت الصدمة تسكن في عيونهم.

مرت الليالي وأنا أقضي وقتي في حجرتي، كان الأكل والشرب يأتي إلى مقامي من قبل الجن، كنت لا أحتاج شيئًا أبدًا! كانت تأتيني الأخبار الخارجية من الجن، كما كان متوقعًا. جن جنون فرعون من اختفائي المفاجىء، لم يهدأ له بال أبدًا، ووصل لمرحلة بأنه قتل أحد رجاله فقط لأنه رجع ولم يجدني! نعم جنون العظمة الذي يسكنه كانت يطغى عليه، فكيف لشخص أن يختفي أو يفعل شيئًا بغير علمه!

بدأت الأيام تنسي فرعون سر اختفائي، رغم صعوبة الأمر عليه، إلا أنه استسلم للأمر الواقع، وخرجت أقاويل كثيرة عني، بأني أعبد الشيطان، وبأنني ساحر، وتناسوا كل شيء جميل عني، وظل فرعون يمجد من قبل الجميع على فكرته في بناء الأهرامات، رغم أنني أنا صاحب الفكرة وأنا من بنيتها، كنت أستطيع أن أؤذيه وأنتقم منه لكني قررت أن أكمل حياتي وأنسى موضوعه تمامًا.

شعرت مع الأيام بأنني فرد من أفراد الجن، لأنني كنت طوال وقتي معهم، ولا أخالط البشر أبدًا، وهذا الشيء جعلني أقوى روحانيًا. انكشفت لي العديد من الأمور، تعرفت على الكثير من ملوك الجن وتزوجت من بناتهم، أصبح لدي أربع زوجات من الجن، وعدد لا يصدق من جواري الجن، رغم صعوبة الزواج بين البشر والجن، ولكنهن كنَّ يحببني جدًا!

ومرت بي السنوات وأحسست بشيء ينقصني! كان تعاملي فقط يقتصر على الجن العلويين، وكانوا دائمًا يقربوني من الله، بتذكيري تلاوة الأذكار والمحصنات. حملوني لأطهر الأماكن فقط لأقيم صلواتي فيها وأرجع لحجرتي السرية من جديد. صرت متمرسًا في اللغة السيريانية الخاصة بالجن. استطعت أن أقرأها وأكتبها أيضًا. لكن كانت تأتيني العديد من الهواجس! أقول لنفسي ماذا يوجد يا ترى في الجانب الآخر؟ عالم الجن السفليين! لمجرد التفكير في ذلك كنت أتعرض للأذى من قبل الجن العلويين، كنت أصحو من نومي وأجد جلدي محروقًا! لقد كانوا غاضبين مني فقط بمجرد تفكيري بهذا الشيء!

ذات يوم تكلمت مع زوجتي الثالثة عن ما يدور في ذهني، فغضبت مني وهجرتني لعدة أيام! ومع أفكاري الكثيرة، كنت أشعر بالشيطان وأتباعة وهم يتهامسون في ذهني، ولا ألومهم فأنا من فتحت لهم باب حياتي. ومن غير سابق إنذار اتخذت قرارًا لا رجعة فيه، سوف أترك كل الجن العلويين وسوف أنفصل عن بناتهم، وسأدخل في عالم الجن السفليين!

تركت من يدي مذكرات الصوصافي وأنا أرتعش! شعرت أنني أنا من كتبها وليس هو! الهواجس نفسها والشكوك نفسها التي تملكني، كانت تملكه! نريد أن نكتشف ماذا يحوي العالم السفلي! وأصبح لدينا تشبع من

العالم العلوي.

إن كنت سأفسر ذلك الفضول فسأقول بإنني أريد أن أرى كل شيء في العالم، سواءً كان جيدًا أم سيئًا. أريد أن أكتشف جميع الأسرار! وأعلم أن الدخول للعالم السفلي خطر جدًا على أي مسلم لأنه يمكن أن يسقط في دائرة الشرك، ولكني قوي وسوف أتمالك نفسي ولن أدعهم يؤثرون بي! فأنا أعبد ربي وهم يعبدون الشيطان، أريد أن أسخرهم وأستفيد من خدماتهم وأتركهم في حال سبيلهم!

قطع حبل أفكاري ذلك الإحساس الذي جاءني! شعرت بأن هناك من يراقبني! تلفت فلم أجد أحدًا! لا أعلم لماذا ولكن أشعر بأن مريم تراقبني من بعيد، ولو كانت تفعل ذلك فهي ناجحه! لأنني لا أستطيع رؤيتها!

رجعت أفكر في العالم السفلي، ولكني لم أتحمل الألم الذي هجم على جسمي بطريقة مفاجئة! ألقيت نظرة على يدي ووجدتها تحوي على أثار حروق! الألم قوي جدًا! إنهم الجن العلويين يفعلون بي كما فعلوا مع الصوصافي عندما قرر أن يدخل إلى العالم السفلي!

مسكت المذكرات من جديد وأكملت القراءة، كان يقول الصوصافي فيها:

- عندما قررت فعلًا أن أدخل للعالم السفلي، وجدت نفسي وسط حرب! كانت بيني وبين الجن! المعركة لم تكن

لأنني سأدخل في العالم الجديد فقط! لا بل كانت تخص زوجاتي الجنيات الأربعة! فعائلاتهن كانوا يهددوني أبشع التهديدات! لأن الزوجة الجنية تتبع زوجها الأنسي بكل ما يفعله، وبخطوتي هذه سوف أخرجهم من العالم العلوي وأدخلهم للعالم السفلي!

عندما قرأت هذه الكلمات تذكرت كلام مريم عندما قالت لي بأني لو دخلت هذا العالم سوف تدخل هي الأُخرى معي. أكملت القراءة:

- عندما يدخل أي صوصافي في عالم جديد فسوف يدخل زوجاته معه إن كان متزوجًا! وسوف يرغمون على ممارسة الأعمال السفلية من سحر وتفرقة بين القلوب والعديد من الأشياء الأُخرى، وهنا يبدأ العذاب لهن، فنساء الجن من السهل التلاعب بهنَّ وقد ينقلبون من مسلمين إلى ديانات أُخرى، عكس رجال الجن، فهم أقوى من النساء، ولا أعرف السبب!

وأنا أقرأ مذكرات الصوصافي أشعر بأنني تقربت من العالم السفلي خطوه تلو الأُخرى، وأعترف أنني كنت أنانيًا جدًا ولا أبالي لو أدخلت مريم معي في هذا العالم!

أحسست بأني غير قادر على إكمال القراءة. الأرهاق بدأ يقتلني! إلا أن قد استستلمت للنوم!

وجدت نفسي أجلس في مكان يعج بالناس الجالسين

على الطاولات وهم يتناولون الطعام، وأنا كان طعامي هو قراءتي لمذكرات الصوصافي التي كانت بين يدي، كنت في قمة الاندماج رغم ضجيج أحاديث الناس من حولي، فجأة اختفت جميع الأصوات! رفعت رأسي في ذهول وصدمت! جميع الناس يضعون رؤوسهم على الطاولات وكأنهم قد أغمي عليهم! نهضت بخطواتي غير ثابتة إلى الطاولة التي أمامي، ووضعت يدي على نبض الرجل الذي يلقي براسه، فلم أجد نبضًا لديه! يا إلهي ماذا يحدث! فرحت أفحص نبض جميع الناس، فلم أجد أي جديد، إنهم جميعهم أموات!

رجعت بخطواتي وأنا مرعوب مما يجري. توقفت لأنني صدمت بشيء من خلفي! التفت ووجدت طفلة لا تتعدى السبع سنوات، بيضاء ذات ملامح بريئة جدًا، وكانت تضع يديها خلف ظهرها، وتبتسم بإبتسامة غريبه!

- من أنتِ يا طفلة؟

رجعت خطوتين إلى الخلف وابتسمت لي ابتسامة أكثر غرابة، فأخرجت من خلفها سكينًا! وحدث مالم أتوقعه أبدًا. قطعت رأسها بالسكين بطريقة بطيئة! وكانت ابتسامتها إلى الان في وجهها رغم صراخي عليها:

- لا !!!!!

ماذا يحدث! لماذا الموت أصبح منتشرًا في المكان!



- عبدالله!

التفت وأنا أعلم من يناديني، إنها مريم! وجهها كان مرهقًا ومرعبًا، وشعرها الطويل باهت اللون ويخفي نصف وجهها، اقتربت منها وقلت:

- مريم... ماذا يحدث؟

فهجمت علي سريعًا، ومسكتني من عنقي بقوة، أحسست بأنني أختنق، وقالت:

- هذا ما سوف يحدث لو أدخلتنا إلى عالمك الجديد يا أحمق!

نهضت من النوم! لقد كان حلماً... حلم مزعج ومرعب! أحسست بألم غريب عند عنقي، نهضت وذهبت لمرآية الغرفة فرأيت عنقي لونًا أحمر وأزرق عليها! وكأن مريم كانت تؤذيني بالواقع وليس بالحلم! أي شخص يحدث معه ما يحدث معي سوف يتراجع عن أفكاره، ولكن ليس أنا! فأنا أسير على خطى الصوصافي، سوف أكمل!

مسكت مذكرات الصوصافي المفتوحة بين يدي وقلت:

- سوف أدخل لعالم الجن السفلي!

عندما قلتها، احترقت المذكرات في يدي واختفت... ماذا حدث!

مسكت كتاب الصوصافيون، وأحسست بالقوة نفسها مع

كل مرة أمسكه فيها! وكعادتي جعلت القدر هو من يفتح لي طريقي بين صفحات الكتاب. فتحت صفحة بشكل عشوائي ووجدتها تحتوي على خدمة ملكة سفلية يطلق عليها فاطمة السحابية.

كان يوصفها الصوصافي بهذه الكلمات:

ملكة جنية سفلية قوية جدًا، تعتبر من بنات الشيطان عزازيل (1) إنها الإ بنة الخامسة والسبعون من أبنائه الذين لا يعدون ولا يحصون! متزوجة من العديد من ملوك الجن السفليين، ومع هذا فإنها تخدم جميع من يطلبها من بني الأنس ولكن بمقابل شروطها الخاصة! تستطيع أن تفعل العجب من خير وشر! وتعشق رجال الإنس وتفضلهم على رجال الجن، لا تعترف بوجود الديانات السماوية، ولا ترى ولا تطبق إلا قوانين أبيها عزازيل، قيل بأنها تزوجت العديد من الإنس وكانت لا تفارقهم إلا عندما يموتون! تحضيرها سهل جدًا ولا يحتاج لخلوة روحانية، يحتاج فقط لصيام روحاني ولو كنت متمرسًا فسوف تحصل على خدماتها سريعًا.

معلومة بسيطة لكل الصوصافيون: صراخ فاطمة وحركتها الجنونية لن يشعر بها أحد سواك!

وبهذه الجملة اختتم الصوصافي كلامه. ملكتني صفات فاطمة السحابية! ولكني كنت أفكر! ترى ماهي شروطها؟

وماذا يقصد بصراخها وحركتها الجنونية؟

تركت كل هذه التساؤلات وقررت أن أعمل.

كتبت الجدول الخاص بتحضيرها على ورقة ولاحظت أنه غريب جدًا! يحتوي على اثني عشر مربع وداخل كل واحد منهم رقمان، وعلى الأطراف هناك العديد من المثلثات واسم الشيطان منتشر في كل زوايا المربع ومكتوب بشكل عمودي بأحرف مفككة

"ع

ز

ا

ز

ي

ل"

انتهيت من الجدول وقرأت الكتاب بأني أحتاج مرآه صغيرة أطرافها حادة، وعلي أن أنظر إليها عندما أقرا كلمات تحضير فاطمة السحابية وأمسك أطرافها بقوة.

أغلقت الإضاءة وأشعلت شمعة واحدة، وأطلقت البخور في أرجاء الغرفة، وجلست على الأرض مقابل الجدول الذي كتبته لتحضيرها، وممسكًا بالمرآه بقوة، وهكذا بدأت

أنزف دماء من يدي، ولكني لم أكترث للألم، وبدأت في تحضير فاطمة السحابية.

- احضري يا فاطمة السحابية، أمرك أن تظهري لي وتشاركيني جلستي. آمرك أن تحضري بأمر من عزازيل وقوته العظيمة، وبأمر من جميع الجن السفليين الذين يريدون خدمة البشر، احضري كرمى لدمائي التي تنزف من أجلك.

قلتها وضغطت أكثر على المرآه ونزفت كمية أكبر! وكنت أنظر للمرآه بجميع اتجاهاتها ولا أعرف عمَّ أبحث أو ماذا سوف يحدث في اللحظه القادمة!

أحسست بأن قواي بدأت تتلاشى، وأصابني دوار كبير، فالدماء التي سالت مني ليست بالقليلة، بدأت ألاحظ إضاءة الشمعة تخفت بشكل تدريجي، ونسمات باردة تملكت جسدي بطريقة مفاجئة، هل ما يحدث حقيقي أم إرهاق جسدي هو ما يخيِّل لي هذه الأشياء؟

إحساس ما جعلني أتمعن بالمرآه أكثر فأكثر! فظهرت لي عيون حمراء واسعة من طرفها، حركتها فوجدت إمرأة سوداء البشرة تقف خلفي! وتبتسم لي ابتسامة تفزع. من رهبة الموقف سقطت المرآه من يدي، وبهواء سقوطها أنطفئت الشمعة.

صرت كالمجنون أبحث عن عود الثقاب لكي أشعل

الشمعة من جديد، كان التوتر سيدًا للموقف، وكنت أسمع أصوات ضحكات وأنفاس شيطانية تسري في أنحاء غرفتي. وفجأة سمعت ضربًا قويًا على جدران الغرفة وصراخًا مرعب ورهيبًا! كنت أسمعها تمجد الشيطان بكلمات كثيرة!

استطعت في هذه اللحظة أن أشعل الشمعة من جديد، وسرعان ما التفت لجميع زوايا المكان محاولًا أن أجدها، ولكني لم أجدها! ألقيت نظرة تحت السرير فلم أجدها هناك أيضًا!

سمعت صوت أنفاس عالية، مصدر الصوت يأتي من فوقي! رفعت ناظري بحركة بطيئة فوجدتها تتعلق بالسقف بطريقة غريبة! لم أكن أستطيع أن أرى وجهها لأنه كان مقابلًا للسقف، فتكلمت بصوت مبحوح وقلت:

- فاطمة السحابية!

فأدارت وجهها بطريقة دائرية مرعبة دون أن تلف جسدها، كانت عيونها بارزة جدًا، وشعرها طويلًا ويتدلى للأرض، وصفار أسنانها يزيد من بشاعتها، لقد كانت لوحة مرعبة بكل ما تحمله الكلمة، قلت لها:

- أمرك أن تتشكلي بصورة جميلة وأن تعرضي علي خدماتك.

قلتها ورجعت لخطوتين ولا أعلم ما هو الشيء الذي أفقدني توازني، لكني سرعان ما نهضت، ورأيت ما ذهلني!

كنت أرى زوجتي أميرة أمامي مبتسمة!

- هل تفضل هذا الشكل علي؟

قالتها فاطمة السحابية! لقد تشكلت بوجه زوجتي ولكنها كانت عارية تمامًا!

لم أكن أعلم ماذا أقول، فاقتربت هي مني وأخذت المرآه الحادة من يدي بالقوة وبدأت بتجريح جسدها! يا إلهي ماذا تفعل! كانت تمزق جسدها وتكتب اسم عزازيل بكل مكان، ودمائها تسيل على سجادة غرفتي! فقررت أن أقول بكل حزم:

- توقفي عن فعل هذا! وإلا عذبتك بكلام الله.

توقفت وسقطت المرآه منها، وقربت مني وهي تلعق الدماء من يديها، وقالت:

- لا أظنك سوف تعذبني بكلامه وأنت من جلبني إلى مسكنك للاستفادة من خدماتي.

كلامها جعلني أصمت قليلًا ثم قلت:

- أريد منك الطاعة والاستجابة لرغباتي.

- وماهي رغباتك؟

لا أكذب بأني على علم بطلبي الذي أريده منها من قبل أن أحضرها، لقد كان هناك شيء معين في ذهني وأريد

الوصول إليه!

- أريد أن تسرقي وتنقلين لي كمية من الذهب!

اتسعت عيونها شرًا وقالت:

- لك هذا! ولكن بشرط أن...

قاطعتها وقلت:

- قبل أن تشرطي أنا من سوف يشرط عليكِ، أريدك أن تسرقي الذهب من ناس غير مسلمين.

قالت لا مبالية:

- حسنًا

عملية نقل الذهب قرأت عنها في كتاب الصوصافي، ورأيت الذهب في مسكنه، لقد كان يفعلها بالتأكيد! ولكن من أين يجلبه لا أعلم! هي عملية - سرقة - يقوم بها الجن السفليون فقط، يأخذون الذهب من الأغنياء وتختفي ثرواتهم بطريقة غريبة لهم، إما بدون سبب... أو بخسارة!

- هل لك أن تنفذ شرطي الآن؟

قالتها فاطمة السحابية، فأخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- وماهو شرطك؟

أخذتني من يدي وقالت:

- عليك أن تعاملني معاملة الأزواج، وعندما ننتهي سوف أنفذ ما تريد.

سحبت يدي منها وقلت:

- ولكننا غير متزوجين!

قالت بنبرة وبملامح أنثوية طاغية:

- وهذا سوف يعطي لما سنفعلة لذة خاصة! ولن أنفذ طلبك إلا بهذا الشرط!

تذكرت الآن كلام الصوصافي عنها! قال بأنها تنفذ الطلبات بمقابل شروطها الخاصة! لقد وصلت لمرحلة لا يمكنني الرجوع فيها! نعم سوف أمضي! أطفئت الإضاءة بأكملها... وحدث ما تريد.

بدأنا عملية نقل الذهب! وبقينا ثلاث ليالٍ. كنت أرى التعب على وجه فاطمة السحابية. كان الموضوع شاقًا وليس بالهين أبدًا! وقالت لي بأن هناك مجموعة من الجن يساعدونها وكنت أصر عليها أن تتم السرقة من ثروات اليهود، وأخذت بكلامها عندما قالت بأنها تقوم بذلك! لقد قالت لي بأنهم يسرقون من رجال أعمال إسرائليين، وفي الليلة الثالثة امتلأت غرفتي ذهبًا! وودعت فاطمة من بعد ما كنت أعاملها كزوجتي في الليالي التي مضت. وكم حاولت معي مرارًا وتكرارًا أن تخرجني من دیانتي، ولكني كنت لا أسمع لها ولا لمحاولاتها الفاشلة. لقد كانت تقول

لي بأنني أتعامل مع الجن السفليين إذن لماذا أنا متمسك بدياناتي؟ وكان ردي بسيطًا جدًا، فأنا كأي مسلم في هذا العالم، لا يوجد فينا من هو كامل، هناك من يسرق، هناك من يظلم، هناك من يفعل أشياء مشينة، ولكن دومًا نجد باب الغفران مفتوحًا، ربما من يتكلم الآن هو عقلي الباطن، لكي يريح ضميري ليس إلا... لا أعلم!

رسمت لنفسي خطة تؤمن لي مستقبلي، استخدمت هذا الذهب بالدخول في مشاريع عدة، واشتريت عقارات وكنت أقوم بتبديل الذهب مع مجموعة من الناس ويعطوني أموال، وكل هذا يجري في طرق غير مشروعة بالطبع.

ادخرت باقي الذهب في بنوك خارجية لأخذ الحيطة لا أكثر. كنت سرًا غامضًا لجميع رجال الأعمال، فجميعهم يسألون من هذا الشخص الذي جاء من العدم وهو يملك كل هذه الثروة المهولة! البعض منهم كان فضوليًا، والآخر منهم كان يهاب دخول المنافسة معي، فلقد كنت في هذه اللحظة قويًا جدًا، لأني أملك سلاحيين فتاكين، الأول هو المال، والآخر هو الجن!

في هذه الفترة كان يشغلني غياب مريم الذي لم ينته. أشعر بأنها تراقبني من بعيد ولا تريد أن تواجهني! هل تصرفاتها مقصودة؟ أم إنها بالفعل في مأزق مع عائلتها؟ وقد أدخلتها في مشكلة جديدة عندما سحبتها معي إلى العالم السفلي!

تحولت مع الناس من عبدالله إلى السيد المحترم عبدالله، وحاولت أن أعطي أبي وأمي بعض من المال ولكنهم رفضوا، كانوا يقولون بأنهم لا يحتاجون مني أي شيء، ويريدون أن أدعهم في حال سبيلهم!

كنت أقضي معظم وقتي في غرفتي، فأنا لا أملك صداقات من الإنس، معظم صداقاتي من الجن، لقد كنت منطويًا بعض الشيء!

ذات يوم سمعت طرقًا على باب غرفتي، فتحته وصدمت مما رأيته!

- هل لي ببعض من وقتك؟

قالتها ودخلت وبدأت تنظر إلى الغرفة وتتفحصها إلى أن جلست على سريري وقالت:

- كيف حالك يا زوجي؟

لم أتوقع بأن أرى أميرة مرة آخرى، فقلت بصوت مبحوح:

- أنا بخير..

ابتسمت لي وبانت علامات التعب والسهر في عينيها:

- اسمعني يا عبدالله، لقد تزوجتك وأنا واقعة في غرامك، وكنت لك الزوجة والأم والأخت والصديقة، وفي كل مرة كنت تفكر في السقوط، كنت هناك على الأرض

أجلس لكي ألتقطك، حملتك على ظهري ولم أشتكِ يومًا، وكنت صادقة معك طوال عمري، واليوم أطلب منك الصدق لا أكثر، ماذا تخبيء عني؟

- أنا لا...

- لا تكذب أرجوك! إن كنت تحبني إلى الان، لو كنت في عينيك الحبيبة التي وقعت في حبهما، قل لي!

سكت لبضع ثوانٍ ومن ثم أخرجت كتاب الصوصافيون من تحت وسادتي وقلت:

- إنه الكتاب يا أميرة.

نظرت إلى الكتاب وكأن هناك عداوة بينها وبينه:

- وماذا يوجد في هذا الكتاب؟

شعرت بأنني أستطيع أن أقول لها كل شيء، فتكلمت!

- اكتشفت العجب من خلاله يا أميرة، عرفت أن هناك أسرارًا مخفية عن البشر! واستطعت أن أرى الجن وأن أستخدمهم لصالحي.

رأيت الصدمة تكبر أكثر فأكثر على وجهها، وقالت:

- ماذا! جن! هل أصبحت ساحرًا يا عبدالله!

- لا لا! صدقيني أنا لست بساحر، ولكن هناك عالم مخفي وهناك جن...

ومن حيث لا أشعر، أتتني صفعة قوية من يديها وقالت:

- اصحُ يا عبدالله! أرجوك! هذا الكتاب قد أنساك ربك ودنياك وزوجتك، هل نسيت أبسط الأشياء؟ هل نسيت اسمك؟ عبدالله! إنك عبد لربك فكيف تقرأ وتصدق هذه الخزعبلات؟

استسلمت في النقاش معها، فقررت أن أسكت وأن أرى الدموع في عينيها.

- أرجوك أنا لا أريد منك أي شيء بعد اليوم، فقط طلقني!

بهذه الجملة أحسست بأن حياتي بأكملها قد اهتزت، فقلت بكل خوف:

- لا يا أميرة، أنتِ زوجتي! لا أستطيع أن أطلقك.

قالت بتحسر كبير:

- أنا لم أعد أعرفك يا عبدالله!

وبهذه البساطة قررت أن تخرج من غرفتي وتغلق الباب خلفها، أحسست بأنني خسرت شيئًا كبيرًا، ولا أعلم كيف أسترجعه مع الأيام. التفت على سريري وأصابني الفزع عندما رأيت مريم تجلس عليه وتنظر إلي بوجه غاضب، يميل إلى الاحمرار، نهضت من مكانها ووقفت أمامي وقالت:

- ما الذي فعلته؟

رغم أنني أعلم كل ما فعلته، ولكني قررت أن أمثل دور المظلوم!

- عمَّ تتكلمين؟

رأيت الغضب يرتسم على وجهها. قالت:

- كيف لك أن تخرج من العالم العلوي، وتدخل إلى العالم السفلي بهذه البساطة؟

- أظن أن هذا قرار شخصي لي! قلتها ببرود كبير!

- لا ليس قرارًا شخصيًا، فأنت بتصرفك هذا قد أدخلتني معك إلى عالم لا أريد التواجد فيه، كان عليك أن تأخذ الإذن مني!

علمت بأني أدخلت نفسي في دوامة معها، فأكملت معركة الحوار معها:

- أنتِ زوجتي يا مريم، ويحق لي أن أتصرف بكِ كيفما شئت، وعليك أن تطيعيني بكل شيء، خيرًا كان أم شرًا!

- هذه حياتي أنا أيضًا يا عبدالله! كيف لك أن تتحكم بي بهذه الصورة القذرة!

كلمتها الأخيرة جعلتني أشعر بغضب كبير، رغم أنني مخطئ، لكن الضغط الذي وضعته علي أميرة، ازداد مع

كلام مريم، فشعرت بأنني سوف أنفجر غضبًا، ولكن صدمتني عندما خرت باكية على الأرض وهي تقول:

- كيف لك أن تلقيني بهذا العالم المظلم! إنه مليء بالمشاكل، كيف لك أن ترضى وأنت ترى زوجتك وهي تخدم الجن السفليين وتتعرض للإهانة منهم، كيف لي أن أعمل معهم بالسحر الأسود؟ والتفرقه بين الأزواج؟ أجبني يا عبدالله أجبني!

وصلت لمرحلة بأني أريد أن أكشف جميع أسرار الكون ولا أهتم لمشاعر أحد! ولن أدخل الأن في متاهة الحب، فقررت ألا أعلق على كلامها وبكائها، فنهضت من تلقاء نفسها ومسحت دموعها وقالت بنوع من الحسرة:

- سمعت حوارك قبل قليل مع أمي... أميرة! رغم أنك تعلم بمدى كراهيتي لها، إنها أنها قالت كلمة حق!

- وماهي كلمة الحق؟ سألتها باستغراب!

قالت بنبرة استهزائية:

- يبدو أنك نسيت أن اسمك هو عبدالله! ونسيت دينك وربك وتريد أن تغرق في العالم السفلي! تريد أن تنزل للقاع من بعد ما أوصلتك للقمة!

فقلت بكل غضب:

- أنتِ لم توصليني للقمة! أنا من وصلت بنفسي! ولا يحق

لك أن تكلميني بهذه النبرة مرة أخرى! إنني أحذرك يا مريم!

اقتربت مني بطريقة مريبة وكانت تنظر لتعابير وجهي وتقلباته، فرفعت حاجبيها وقالت:

- أشعر بشيء غريب!

وبدأت تلتف حولي إلى أن مسكتني من ذراعي بقوة وقالت وهي مصدومة:

- لقد فعلت شيئًا مع فتاة من الجن السفليين!

اندهشت منها! ترى كيف عرفت ذلك!

بدأت تضربني بيدها المرة تلو الأخرى، وكل ضربة منها كانت موجعه جدًا!

- يا لك من خسيس! كيف تسمح لنفسك بفعل كل هذا؟ أنت لي يا عبدالله، لي أنا فقط، ويكفي بأنني راضية بزواجك من تلك البشرية!

- لن أسمح لكِ بالتعدي على أميرة يا مريم! ونعم استخدمت خدمات فاطمة السحابية التي تنتمي للجن السفليين، ووافقت على شروطها وأنتِ أعلم بما هي!

ضحكت باستهزاء مرة اخرى وقالت:

- هي من جعلت منك رجلًا ذا نفوذ؟ هي من جلبت

لك الذهب؟ هل سألت نفسك من أين أتت لك بهذا الذهب؟

ترددت وكأنني غير واثق من جوابي:

- لقد سرقته من ثروات الإسرائيليين.

ضحكت بصوت عال جدًا وقالت:

- أحمق يا عبدالله! دخلت للعالم السفلي ولا تعرف مع من نتعامل! لن أطيل بالحديث عن تلك المخلوقة، ولكن تأكد عندما أقول لك بأنك تنعم من ثروات المسلمين!

- أنتِ كاذبة!

- نعم... نعم لقد أصبحت كاذبة الآن، فأنت لا تريدني كما كنت بالسابق.

سكت وقررت ألا أعلق على كلامها، فقالت بنبرة ينفطر لها القلب وجعًا:

- لا تريد حتى أن تقول بأنك تريدني وتحبني! كم أصبحت قاسيًا يا عبدالله، لقد أصبحت مثلهم... ذا قلب سفلي!

أخذت نفسًا عميقًا ومن ثم قالت جملة جعلتني أشعر بتوتر كبير:

- عائلتي عرفوا كل شيء عنا وعليك مواجهتم!

- ماذا تقصدين بكل شيء؟

- علموا بزواجنا السري وغضبوا كثيرًا، وحاولت أن أقنعهم، وفي الليالي الماضية كانوا سيقتنعون أخيرًا، ولكن عندما علموا بأنك دخلت للعالم السفلي وأدخلتني معك، غضبوا كثيرًا ولن يسكتوا!

شعرت بالقليل من الخوف الذي كنت أريد إخفاءه، ولكني أظن بأنه واضح أمام عيون مريم المتحدية! قالت لي بكل حزم:

- أنت لي أنا فقط! ولن أسمح لأحد بأن يأخذك مني يا عبدالله!

وكانت تريد أن تغادر ولكنها وكأنها تذكرت شيئًا فقالت لي:

- انتظر قدوم عائلتي إليك... في أية لحظة!

كنت أجلس في إحدى مكاتب الشركات الكبرى، وتناقشت مع مجموعة من الناس على شراكة جديدة ومشروع كبير، من المؤكد بأنه سيزيد من ثروتي. كانوا يتكلمون عن كيفية إنماء الأرباح بوقت قياسي وأنا كنت شارد الذهن وأفكر في موضوع آخر! كلام مريم يشغل كل تفكيري، ترى ماذا سيحدث بيني وبين عائلتها؟ وهل أستطيع التصرف مع هذه المتاهه التي أدخلت نفسي فيها!

إن جاءوا لي فبالتأكيد هم لا يريدون النقاش، ولكنهم

يريدون الشر.

- سيد عبدالله؟

قطع حبل أفكاري صوت الشخص الذي أمامي، فابتسمت له وقلت:

- نعم تفضل؟

- ماهو رأيك في كلامنا؟

في الحقيقة لم أسمع ماذا كانوا يقولون! فنهضت من مكاني وقلت:

- كلامكم جميل ولكني في عجلة من أمري، سوف نلتقي قريبًا.

قلتها وخرجت فبدوا مذهولين من تصرفي.

ركبت سيارتي لا أعلم إلى أين!

كنت أفكر في العديد من الأمور، هل أنا تائه فكريًا؟ هل أنا قبلت تحديًا وأنا أعلم بأني سأخسر فيه؟ لماذا بدأ الخوف والتوتر علي؟ كنت أعاني من مشاعر غير متزنة ولكني كذبت نفسي، فقط لكي أشعر بأني قوي... لا أهزم!

تفكيري منصب على عائلة مريم، ولا أنكر بأنهم صارو أول اهتماماتي في الوقت الراهن، ولا أعلم أين ومتى

سيأتون لي، وماذا يريدون مني! هل سيلومونني على الزواج منها؟ حتى ولو فعلوا، فهم لن يستطيعوا فعل شيء، لأننا تزوجنا وقضي الأمر. أعلم بداخلي أنهم لا يريدون السلام، وسوف يعلنون الحرب، ليس فقط لزواجي من مريم، ولكن لسحبها معي إلى العالم السفلي، ولكن حتى في هذا الأمر لن يستيطعوا أن يفعلوا شيئًا، لأنه قراري أنا وحدي، ولن أسمح لأحد بالتدخل فيه!

أين أنا؟ كنت أقود سيارتي ولا أعلم إلى أين أتجه! إنني في منطقة صحراوية مظلمة، حاولت أن أعرف طريق الخروج ولكن الرؤية كانت معدومة جدًا! بدأت أسمع همسات غريبة! كلمات لم أسمع بها من قبل! جمل غير مركبة ولكن كنت متأكدًا بأني أسمع اسمي.

- عبدالله... عبدالله... عبدالله!

صرت أتلفت في كل مكان، إلى أن رأيت شيئًا جعلني أضغط على مكابح السيارة بقوة! كانوا ثلاثة رجال ذوي بشرة سوداء، طوال القامة ولديهم عيون كبيرة وبارزة، إنهم من الجن! كانوا ينظرون إلي بطريقة مفزعة. أتوقع أنهم من قادوني إلى هذا المكان. قررت أن أمسك أعصابي وأن أنزل لمواجهتهم، وبالفعل نزلت!

كانوا يقفون ويشكلون دائرة حول بعضهم، فدخلت بوسطهم وبدأت أرى وجوههم المرعبة! انتظرت لثوان وما زاد استغرابي أن أحد منهم قرر أن يتكلم! كانوا

ينظرون لي فقط! فقلت:

- من أنتم وماذا تريدون؟

أجابني واحد منهم بصوت جاد ومرعب:

- لقد تزوجت اختنا دون علمنا، بالطبع تعلم من نحن!

- نعم! أنتم اخوة مريم... ولكن يبقى السؤال ماذا تريدون مني؟

تدخل الشخص الثاني بالحوار وكانت نبرته مشابهه للأول:

- نريدك أن ترجع لرشدك وأن تترك العالم السفلي، أختنا لا ذنب لها في قراراتك.

نظرت لهم نظرة لا مبالية وقلت ببرود كبير:

- آسف، فلا يحق لأحد التدخل في شؤوني الخاصة.

- أنت تلعب بالنار يا عبدالله، ونحذرك لو أكملت في هذا الطريق وظلمت مريم معك فإنها الحرب عليك.

سمعت هذه الجملة ولكني لم أعرف ممن، لأن ثلاثتهم كانوا مقفلين أفواههم، فقلت بحزم:

- مريم زوجتي أنا! وأنا حر في كل ما أفعله بها، ولو كانت حربًا فأنا مستعد للقتال.

أظن بأني أخرجت كل ما بي من شجاعة عندما قلت هذا

الكلام لهم:

- سوف تندم!

قالوها هم الثلاثة وأحسست بضربة قوية على صدري أوقعتني أرضًا، ولا أعلم من أين أتتني!

نهضت من الأرض وتلفت بكل زاوية ولكني لم أجدهم! لقد رحلوا! تقدمت لسيارتي ولكني طرت في الهواء آثر انفجار مفاجىء حدث لها! رأيتها تحترق أمام عيني ورأيتهم يطيرون فوقها وعلامات الغضب ظاهرة عليهم! إنها بالفعل بداية الحرب!

صحوت من النوم وأنا أِشعر بالتعب الشديد! نهضت من سريري ورأيت الساعة تشير إلى العاشرة مساءً، يا إلهي لقد نمت يومًا كاملًا!

أحسست بأن جسدي مرهق جدًا أثر ما حدث لي مع إخوة مريم.

فتحت كتاب الصوصافيون وكنت أقلب صفحاته، ولفت انتباهي شيء لم ألاحظه من قبل! في آخر الكتاب هناك صفحة مطوية لونها غريب! فتحتها فوجدت:

- باب تحضير الملك ميططرون-

الملك ميططرون هو من أقوى ملوك الجن السفليين! من يحظى بخدماته فلن يحتاج لأي جن سفلي آخر إطلاقًا!

قوته فيها العجب رغم شروطة -الصعبة جدًا- إنها ممكنة لو قرر الشخص أن يفعلها! من يملك هذا الملك باستطاعته طي الأرض(2) بلا مساعدة من الجن، وبإمكانه المشي على الماء، والطيران. أشهر السحرة على مر التاريخ كانوا أصدقاء أوفياء للملك ميططرون، بل كانوا أطفاله المدللين، وهو أبوهم الحنون الذي لا يرد لهم أي طلب مهما كان!

ولكن لكي تصل إلى هذه المرحلة، عليك أن تكون مطيعًا له في كل شيء يأمرك به، وتقدم له الولاء والوفاء.

من يدخل عالم ميططرون... تصعب عليه المغادرة.

بهذه الكلمات ختم الصوصافي وصف خدمة الملك الذي يتحدث عنه. تشوقت كثيرًا للاستفادة من خدماته. رغم بعض الكلمات التي شعرت بأنها مفزعة في وصفه!

ولن أكذب عندما أقول بأنني ترددت مرات ومرات وكنت سأغلق الكتاب! ولكن قلت في نفسي ماذا سيحدث؟ أريد أن أصل لجميع أسرار الكون!

******

مرت علي ثلاث ليالي لكي أبدأ فقط في تحضير الملك ميططرون! لم أكن كسولًا أبدًا! ولكن طريقة تحضيره معقدة جدًا! الوفق والجداول التي كتبتها تعدت الخمس عشرة صفحة! وعرفت في كتاب الصوصافي نوعًا غريبًا من البخور! لم أستطع أن أحصل عليه إلا في بلد خليجي

مجاور! وكان سعره مرتفعًا جدًا! وأيضًا عملت شيئًا لم أتوقع أني سأفعله في يوم من الأيام. جلبت ثلاث أفاعي وذبحتهما ونثرت قطرات دمهما على مكان جلستي التي سأبدأ فيها بالتحضير! أغلقت الإضاءة وأشعلت الشموع، وكانت هناك الخطوة الأخيرة! أزلت عني كل ملابسي وأصبحت عاريًا تمامًا! رغم غرابة الشرط إلا أنني لم أمانع فيه!

أغلقت الشبابيك وأشعلت البخور الذي بدت رائحته نتنة جدًا! ووضعت الجداول الكثيرة الذي يملؤها اسم -عزازيل- أمامي وبدأت أتلو تعويذة الملك ميططرون، مرة تلو المرة تلو الأخرى، كنت أعيدها بسرعة لأنها قصيرة جدًا. أحسست بجسدي وهو يتعرق تعبًا، لا أعلم هل بسبب تأثير الكلمات أم هي رائحة البخور التي أصابتني بالدوار! وأنا أقرأ الكلمات كنت أرى طيف مريم يظهر ويختفي! ولا أعلم إن كان ما أراه حقيقيًا أم لا! لم أهتم ووضعت هدفي الذي أريده أمامي وأكملت القراءة، وفجأة! دخان البخور بدأ يتصاعد أكثر فأكثر، وبدأت رائحته تفوح أكثر. شعرت بالغثيان ولكن ما حدث بعدها جعلني أتوقف عن القراءة! دخان البخور اختفى فجأة! وخرج من الجدار رجل ضخم جدًا، جسده يكسوه اللون الأخضر! لديه عينان صغيرتان جدًا ولا يملك حاجبين! شعره أحمر و كثيف جدًا، ولديه قرون بيضاء! نهضت من مكاني ووقفت أمامه وقلت:

- أهلا بالملك ميططرون الكبير.

وكأن ترحيبي الحار له جعله نخورًا، فضحك ونشر رائحة أنفاسه الكريهه في أرجاء الغرفة، وقال:

- أهلا بمن نفذ الشروط من أجل أن يلتقي بي أنا! الملك ميططرون، ملك العوالم السفلية كلها، من يصل إلي، يصل إلى نعيم وكنوز الأرض!

كنت أريد أن أشعره بأني متمرس وغير مرتبك، فقلت بحزم:

- بماذا أستطيع أن أستفيد منك لو تعاهدنا؟

هل بدأت عيناه الصغيرتان تتوسعان أم أنه خيالي لا أكثر! قال:

- أستطيع أن أجعلك خارقًا لا تمس! أستطيع أن أجعلك تمشي على الماء وتطير بدون أن تتحكم بك الجاذبية، وأستطيع أيضًا أن أجعلك متمرسًا في طي الأرض ومن غير مساعدة الجن!

- وكيف أستطيع أن أفعل كل هذا بدون مساعدة الجن؟

- إنها أسرار العالم السفلي، وسوف تكشف لك لاحقًا!

فكرت لثوان، ثم قلت:

- وما هي شروطك؟

اتسعت عيناه مرة أخرى وقال:

- أهديك كل هذه الأسرار ولكن عليك أن تتزوج من بناتي.

- أنا موافق! هل هذا كل شيء؟

- لا!

شعرت بأنه سوف يقول شيئًا يصعقني به! وكان إحساسي في محله.

- أريدك أن تجعل زوجتك الجنية مريم تحت تصرفي، وتنجز جميع أعمالي السفلية.

كنت مترددًا بعض الشيء، ولكني وصلت لأقصى مراحل الأنانية مع نفسي، فقلت:

- حسنًا... موافق!

فجأه سمعت صرخة امرأة! كانت قوية تصم الآذان، وضعت يدي على أذني ووجدتها تنزف! فقلت مذهولًا:

- ما هذه الصرخة؟

ضحك بصوت عالي وقال:

- إنها زوجتك! إلى اللقاء... سوف نلتقي قريبًا!

واختفى! هل هذه بالفعل كانت صرخة مريم؟ هل آذيتها إلى هذا الحد؟ في الواقع... لم أعد أهتم!

ذات يوم رجعت للمنزل بعد اجتماع عمل طويل جدًا. ما يفرحني هو أنني أصبحت أدخل في العديد من المشاريع المربحة، وأموالي بدأت تزداد أكثر فأكثر.

منذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها إلى غرفتي، رميت بنفسي إلى السرير وأغمضت عيني وقررت أن أطرد كل الأفكار من ذهني.

هل أنا من أطفأ الإضاءة؟ لا أتذكر! استسلمت لإغراءات النوم ورأيت الساعة تشير إلى الثانية فجرًا... فنمت!

نهضت من نومي فجأة على إحساس مزعج جدًا! رأيت الساعة تشير إلى الثانية والنصف فجرًا! إنني أختنق! ولا أستطيع أن أتحرك من قبضة أحد الجن الذي أمسك برقبتي بإحكام وعلامات الغضب كانت واضحه عليه!

حاولت أن أقاومه بأقصى قوتي ولكنه كان قويًا جدًا!

بدأت أرض غرفتي بالاهتزاز وكأن زلزالًا قد ضرب غرفتي! وبدأ كل شيء بالسقوط والتكسر! كنت أرى ما يحدث وأنا مصدوم! حاولت الفرار من قبضته مرة آخرى فلم أستطيع!

فجأة التف بوجهه المرعب إلى الناحية الاخرى من

غرفتي وأصبحت ملامحه متوتره بعض الشيء، فنظر إلي بحقد كبير وطار من الشباك واختفى!

نهضت من سريري وأنا بالكاد أخذ أنفاسي، ورأيت تعابير وجهي على بقايا الزجاج المتكسر على الأرض، لقد كان أزرق على أحمر! الجني بالتأكيد كان يحاول قتلي، ترى لماذا؟ ومن يكون؟ وماذا حدث لكي يهرب بهذه الطريقة!

بقيت أنظر لغرفتي! لم يتبقَ منها شيء أبدًا! لقد تم تخريبها بالكامل. جلست على الأرض وأنا أحاول أن أفكر في الخطوة القادمة، ماذا سأفعل؟ ولم أجد حلًا سوى طلب المساعدة من... الملك ميططرون!

- وهل تظن أن الجني قد هرب منك دون مساعدتي؟

قالها الملك ميططرون وهو يقف في منتصف غرفتي التي أعدت ترتيبها، وجعلني أذهل من كلامه، فقلت له:

- أنت من ساعدتني؟

نظر إلي نظرة غير مبالية ثم قال:

- من يأخذ العهد مني دائمًا ما أسمع صوته بسهولة، ومن هاجمك كان من عائلة زوجتك الجنية مريم، لقد كانوا يحاولون قتلك!

أحسست بأنني في دوامة من المشاكل، ولا أعرف ماذا

أفعل!

- شكرًا على مساعدتك لي يا ميططرون، ولكني أريد منك خدمة.

نظر إلى الأفق وقال وكأنه يعرف ماذا أريد:

- وماهو طلبك يا عبدالله؟

ترددت قليلًا ثم قلت:

- أريد حمايتك منهم، لا أستطيع أن أواجههم جميعهم لوحدي، وأنت من أقوى الملوك السفليين وأريد عهد الحماية منك.

فكر قليلًا ثم قال:

- أنا موافق! سوف أحميك وسوف أجعل حولك صدًا مانعًا مصنوعًا من مجموعة من الجن.

قلت بكل فرح:

- هذا رائع! إنني..

ولكنه قاطعني بحزم وقال بنبرة حادة:

- ولكن بشرط!

نظرت إليه وعلمت بأن شرطه سوف يكون صعبًا جدًا فقلت:

- وماهو شرطك؟

برقت عيناه شرًا وقال:

- أريدك أن تكون خادمي المخلص، وتكون ضمن جنود الملك ميططرون العظيم، وأن تخرج من ملتك وتعتنق ملتي أنا!

صعقت بكلامه! يريد إخراجي من ملتي! ويأخذني للعالم السفلي للأبد!

قلت بكل عصبية:

- هل جننت؟ لن أخرج من ملتي ولن أدخل لعالمك السفلي لكي أكون خادمًا فيه، كيف تجرأ وتطلب هذا الطلب!

نظر إلي بغضب وقال:

- الآن أصبح لديك ضمير؟ أين كان عندما دخلت للعالم السفلي؟

كلامه جعلني أصمت ولا أعرف بمَ أجيب! فأكمل كلامه:

- أنت ولدت لتكون إنسانًا سفليًا يا هذا! وفي داخلك هذا الإحساس ولكنك تصارعه، اقبل بواقعك وانظم إلينا، سوف تنال الدنيا وما فيها، ولن يتجرأ أحدًا على الوقوف أمامك!

كنت أشعر بغضب كبير من كلامه فقلت له:

- لم أخلق لأكون إنسانًا سفليًا أبدًا! وهذا فراق بيني وبينك يا ميططرون ولا أريد مساعدتك بعد الآن، ولا أريد خدماتك!

ضحك بنبرة عالية ومستفزة وقال:

- من يدخل في عالم الملك ميططرون لا يخرج منه أبداً! لن أدعك إلا عندما تأتي إلي وأنت نادم!

فدفع بجسدي بقوة جعلني أطير في الهواء وأرتطم بالجدار، أحسست بأن أضلعي قد تحطمت، رفعت نظري بصعوبة فلم أجده! يا إلهي ما الذي أدخلت نفسي فيه؟

كنت في إحدى الصحارى البعيدة عن المناطق السكنية، شعرت بها بهدوء لم أشعر فيه منذ فترة طويلة، هذا السكون الذي هجرني منذ دخولي في عالم الروحانيات، نعم أنا الملام! أنا من طمع في كشف أسرار الكون الغامضة، وألقى بنفسه في العديد من المهالك. لكن كل ما أقوله لن يغير شيئًا أبدًا، لابد أن أجد مخرجًا لكل ما يجري لي!

تفكيري الأكبر في هذا الوقت منصب على الملك ميططرون، ترى كيف سأتخلص منه! وأنا أتعامل مع ملك سفلي وليس جنيًا عاديًا، إنه لا يريد أن يتركني في حال سبيلي، وكأنني ملزم أن أنفذ طلباته التعجيزيه! ومايضحك في هذا الموضوع بأنني طلبت منه الحماية والآن

أبحث عن شخص يحميني منه!

كنت مشوش البال، رفعت رأسي ووجدتها تنظر إلي بعيون خائفة وحائرة! فقلت لها:

- شكرًا لكِ لأنك لبيتِ ندائي.

- ماذا تريد يا عبدالله؟ قالتها مريم بحزن كبير.

- أريدكِ أن تساعديني يا مريم، فأنا في دوامة كبيرة، أنا...

قاطعتني بغضب وقالت وهي تبكي:

- أنت في دوامة؟ يا لوقاحتك! أنا من ضاعت في هذا العالم الذي أجبرتني على دخوله، بدأت أشعر بأنني أكره نفسي لأني أحببتك.

كنت سأتكلم ولكنها أشارت لي بيدها لكي أصمت، فأكملت بنفس النبرة الحزينة:

- هل تعلم ماذا فعلو بي؟ لقد جعلوني أخرج من ملتي وأعتنق ملتهم رغمًا عني، لقد جردوني من كل شيء ، والسبب يرجع إلى زوجي وحبيبي، لقد جعلتهم يفعلوني بي كل هذا وأنت راضٍ.

كلامها جعل جسدي يقشعر، لقد كسرتها ولا أتوقع بأنني أستطيع أن أفعل لها شيئًا.

مسحت دموعها وقالت:

- لن أستطيع أن أساعدك في شيء يا عبدالله.

قلت بنبرة نادمة:

- أنا أعلم أني أخطأت في حقك كثيرًا، ولكني حقًا أحتاج إلى مساعدتك، أريد حلاً ينهي لي جميع مصائبي... أرجوك!

نظرت إلي نظرة عنوانها - خذلان - فقالت لي:

- أنت من أدخلت نفسك في هذا العالم السفلي، ومتاعبك التي تلاحقك عليك أن تخرج نفسك منها بنفسك!

- ولكن يا مريم...

قاطعتني وقالت:

- لا أستطيع أن أساعدك بشيء وكفى!

قالتها ورحلت بلمح البصر! وتركتني في معركتي التي لا أرى فيها أي علامات نصر!

أصبحت أجلس في غرفتي طوال الوقت، اعتزلت العالم وقطعت وسائل الاتصال مع الجميع، النوم شيء أتمناه بشدة في هذا الوقت، فأنا لا أستطيع أن أحصل عليه من مضايقات الجن المتكررة لي، عائلة مريم تارة وأتباع

ميططرون تارة آخرى، حياتي أصبحت لا تهدأ أبدًا وإلى الآن لم أعرف طريق الخروج من هذا المأزق، في بادىء الأمر كنت أتوقع المساعدة من مريم، ولكنها أصبحت شخصًا آخر، شخصًا تم تخريب حياته بسببي أنا، لا أنكر بأني كُسر قلبي قليلًا عندما رأيتها بهذا المنظر المحزن ولكني لا أملك لها أية حلول، أنا من أريد الحل!

فكرت مرارًا وتكرارًا ووضعت عدة سيناريوهات للنجاة، ولكنها جميعهما فشلت! وفكرت في العديد من الأشخاص ولكن اقتنعت بأن لا يوجد هناك أية فائدة! فمن من بني البشر سيتصدى لملك جني سفلي!

نهضت من مكاني وأمسكت بكتاب الصوصافي، نعم هذا الكتاب الذي فيه العجب العجاب! أبواب كثيرة تقرب من الرب وأخرى مهلكة، ومن كتب هذا الكتاب كان يريد أن يخرج القرار من القارىء نفسه.

لا أعلم لماذا قررت أن أفتح الكتاب والبحث فيه عن أمل مفقود! عن طوق نجاة يساعدني في تخطي كل المحن، صرت أتصفح وأتصفح بعيون مكسوره... بائسه! ياه! كم اشتقت للدنيا الطبيعية! كنت طريحَ الفراش ولم أستمتع بدنياي، وعندما استرجعت عافيتي، حرمت نفسي بنفسي من حلاوة الدنيا.

مع تصفحي للكتاب اكتشفت شيئًا أذهلني، الأقسام السفلية غالبًا ما تكون آخر الكتاب، وهي تقريبًا ثلاثون

صفحة، كنت أرى الصفحات من الأطراف ولمحت شيئًا غريبًا! لقد كان حرف الألف! فتحت الصفحة الصفحة تلو الآخرى فوجدت الحرف نفسه، إلى أن وصلت للصفحة الرابعة فوجدت الحرف تغير، فأخذت أقلب الصفحات بيدي بسرعة، وأكتشفت أنها مجموعة أحرف تدل على جملة معينه. مسكت ورقة وقلم وكتبت الأحرف جميعها إلى أن خرجت معي جملة:

- إن دخلت هنا فلن تخرج!

عندما قرأت الجملة أحسست بأن الدنيا بأكملها بدأت تلف بي! اقتنعت بأني هالك لا محاله من هذه الجمله. كيف لم ألاحظ هذه الحروف التحذيرية من قبل! يا ترى ما العمل الآن؟ ماذا أفعل؟ كيف لي أن أتصرف؟ يارب خذ روحي وارحمني من كل مايجري لي، ولكن أطلب منك ألا تأخذها إلا وأنت راضٍ عني، وغافر لي أخطائي.

من يختار مستقبلنا؟ هل نحن مسيرون أم مخيرون؟ هل نستطيع تحديد حياتنا؟ هل فعلًا نملك مصيرين مختلفين؟ لكل واحد منهما باب نفتح بقراراتنا الشخصية؟

عندما نصبح مهندسين أو أطباء أو حتى موظفين عاديين جدًا، هل هذا قدرنا بالفعل؟ أم نحن من سعينا نحوه بجهدنا أو أهمالنا؟

سؤالي من الممكن أن تكون له إجابة... إجابتان! ومن

الممكن ألا توجد له إجابة إطلاقًا!

هل الإنسان مسير أم مخير؟

صوت دقات الساعة، أجنحة الذبابة وهي تطير، نسمات الهواء، دقات قلبي، دبيب النمل، بكاء أطفال، كل أصوات ضجيج العالم أصبحت واضحة في اذني، هل لأني صرت حذرًا جدًا؟ هل لأني أصبحت خائفًا من كل شيء؟ كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة أصبحت لا تفوتني، لأني صرت أهاب من أي حركة غادرة من الجن السفليين.

- هل تسمعني يا عبدالله؟

كانت تجلس أمامي مريم بشعرها المبعثر وعيونها المتعبة وبشرتها التي تقدمت بالعمر.

كانت تتكلم والدموع تسبقها ولكني لم أستطع أن أركز معها! كان ذهني يفكر بأميرة، زوجتي الغالية الغائبة، اشتقت لها... لحنانها! ياليتني أرجع ضعيف البدن، مريضًا، ولكن تحت رعاية أميرة كما كنت سابقًا.

- عبدالله!

صرخت مريم بوجهي غاضبة، فرجعت لرشدي وقلت:

- نعم يا مريم؟

_ أريدك... أريدك أن تأتي لي بحل!

كانت تتكلم بأنفاس متقطعة، فقلت ببرود قاتل:

- حل؟ لماذا؟

اتسعت عيناها دهشة وقالت وهي تصرخ:

- إنني أشكو لك متاعبتي، وأنت تسرح في عالم آخر! ساعدني يا عبدالله أرجوك!

حاولت أن أصغى إليها هذه المرة وقلت لها:

- قولي لي ماذا يجري في حياتك؟

نهضت من مكانها وبدأت تصرخ وتبكي بشكل هيستيري!

- لقد أصبحت لعبة في يد الجن السفليين، ليس لدي كلمة أو قرارات خاصة بي، أصبحت عبدة... خادمة لقومهم! ويجبروني على القيام بأعمالهم القذرة!

كنت صامتًا، باختصار ليس لدي ما أقوله. اقتربت مني وقالت:

- إنهم... أنهم يعتدون علي يا عبدالله! هل تفهم ماذا أقصد!

نظرت إليها ببرود وقلت:

- لا أهتم يا مريم!

أحسست بأن عينيها سوف تخرجان من مكانيهما من الصدمة، فقالت:

- لا تهتم! كيف لا تهتم وهم يلعبون بشرف زوجتك!

نهضت من مكاني وأعطيتها ظهري وقلت:

- إنني أهتم لزوجتي الأساسية فقط! أميرة ولا أحد غيرها! التي لا أتخيل كيف جعلتها تنام وهي غاضبة مني طوال هذه الأيام! كيف تزوجت عليها! كيف رميتها وبعتها وهي من اشترتني بأغلى الأثمان؟

مسكتني بقوة من ثيابي وقالت وهي غاضبة ومكسورة:

- وأنا يا عبدالله؟ أنا زوجتك أيضًا، وأنا من وقفت معك ولم أتركك لحالك، نسيت أنني أدخلتك لهذا العالم؟ نسيت بأنني كشفت لك أسراره؟

أحسست بأن كلامها هزني كثيرًا، فمسكتها من كتفها بقوة وقلت:

- ياليتكِ لم تعلميني شيئًا! ياليتك لم تدخلي حياتي، ياليتني لم أدخل في هذا العالم المظلم!

قالت لي بقسوة، وكأنها تريد أن تكسرني أكثر:

- أنت من ظلمت نفسك بنفسك، أنت من أدخلت نفسك في هذا العالم السفلي القذر، لقد كنت مكرمًا.. علويًا! ولكنك قررت أن ترخص نفسك!

قلت لها غير مبالٍ:

- نعم هي غلطتي أنا... والآن ماذا تريدين مني؟

- أريدك أن تكون رجلاً وتدافع عني... عن زوجتك!

نظرت لها بنظرة مستفزة وقلت:

- أن تكوني عبدة للجن لا أهتم! يلعبون بشرفك كل يوم لا أهتم! أنا لا أملك لك أي حل، ولا أملك إلا زوجة واحدة واسمها أميرة، وهذا الكلام لن أتراجع عنه أبدًا!

مسحت دموعها وقالت بنبرة عالية:

- اسمعني يا عبدالله! بما أنك قررت أن تقف ضدي وتطردني من حياتك. لن أدعك ترتاح ولو قليلًا، وصدقني سوف أجعلك ترجع لي ذليلًا وتطلب الغفران مني، أنت لي وسوف تكون لي للأبد! وسوف تطلق القذرة أميرة وتكون زوجي أنا فقط! ولا تفرح بأموالك وسلطتك التي كونتها من أموال المسلمين! سوف أجعلك تندم وسأذكرك بكلامي، حياتك سوف تنهدم على يدي!

هددتني بكل هذه الكلمات واختفت بكل بساطة!

صرت أتمتم بيني وبين نفسي بسخرية وأقول:

- تريد أن تهدم حياتي؟ أنا حياتي هدمت وولت!

لو كنت مسافرًا إلى أجمل الدول في العالم، تستطيع أن

تقيم فيها لمدة طويلة ولكن رغمًا عنك سوف يأتيك يوم وتحن لوطنك من جديد، فترجع وتعانق ترابه اشتياقًا.

ولو نمت على أفضل السرائر وفي أجمل الغرف... مسالة وقت لا أكثر حتى تتمنى أن تكون في غرفتك الخاصة، لا أجمل الدول تستطيع أن تنسيك بلادك ولا أفخم السرائر يستطيع أن ينسيك راحتك بسريرك ولو كان بسيطًا.

ولكن لو كنا نشكو الغربة في وطننا، ونشعر بالضياع في سريرنا الخاص، إلى من سنتجه؟ هذا هو السؤال الذي سألته لنفسي عندما أحسست بأن الدنيا بأكملها قد أغلقت في وجهي، وقلت أين حنان الوطن؟ وأين الراحة في فراشي؟ وجدت الإجابة لدى أبي وأمي اللذين كان يجلسان أمامي وأنا أقول لهما عن كل شيء من الألف إلى الياء! يسمعاني بعيونهم المصدومه قبل أذانهم الضائعة، نعم! لم أشعر بالأمان منذ وقت طويل، ولكني شعرت بالطمأنينة معهما، لأن الأب والأم دومًا ما يكونون مختلفين، يشعرونك بأنهم يستطيعون محاربة الكون كله لأجلك، يستطيعون أن يمسكوا يدك ويتخطوا بك جميع صعابك، بإمكانهم ببساطة أن يرجعوك طفلًا من جديد!

كم هي غالية دموعكِ يا أمي! وكم هو ثمين خوفك يا أبي! لقد كسرت وهرمت من هذه الدنيا أو من قراراتي الشخصية، ولكني انهزمت كرجل عندما رأيت والدي متعبين بهذه الصورة والسبب يعود علي! ولدهما الوحيد

الذي كان عليه إراحتهما وإنجاز حاجاتهما، هو من كان مهملاً لهما وسرحان في كتّاب الصوصافيون!

ورغم كل ما فعلته إلا أنهم لبيا نداء الأبوة عندما طلبته منهما، وجلسا أمامي ممسكين أيادي بعضا، متأثرين بما يحدث لي:

- جئتكم وأنا لا أعرف ماذا أفعل، إنني ضائع كليًا ولا أملك الحلول!

ختمت كلامي بهذه الجملة وسقطت من عيوني أشياء يصفونها علامة ضعف للرجال... دموعي!

نهضت أمي من مكانها وقبلت رأسي وقالت:

- لا تيأس من رحمة الله يا بني، ونحن أيضًا بجانبك ولن نتركك تسير وحيدًا أبدًا.

قبلت يديها وسقطت بعض من دموعي عليهما.

نهض أبي من مكانه وقال:

- عبدالله... اسمع من يا بني، لدي حل لمشكلتك.

رفعت رأسي وبرق الأمل في عيوني وقلت:

- انقذني يا أبي أرجوك!

لامست التردد في أبي بسكوته الذي طال للحظات ومن ثم قال:

- دعنا نذهب إلى شخص له خبرة في الدين وقريب من الله.

- وبماذا سوف ينفعنا يا أبي!

ارتفع صوت أبي غاضبًا:

- تستطيع أن تحارب الإنس والجن أجمع بكلام الله يا عبدالله، ولكن نحتاج لمن يساعدنا، ثق بي يا بني!

لم أكن مقتنعًا كثيرًا بحل أبي، ولكني رفعت رايتي البيضاء منذ زمن، ولأجل دموع أمي المنهمرة قلت:

- حسنًا يا أبي... أنا موافق!

فأخذاني هما الاثنان لحضنهما، كم هو جميل هذا الحضن! ياليتني أموت وأنا فيه!

من يريد العزة فسوف يجدها، ومن يريد الذل فلن يضيعه! نعم! إنني مقتنع بهذه الجملة في هذه المرحلة من حياتي.

هل تعلمون ماذا يجري بي الآن وأنا مستلقٍ على سريري؟ إنني أتعرض للتعذيب والإهانة من قبل أتباع ميططرون من ناحية ومن عائلة مريم من ناحية آخرى.

منهم من يقبض على رقبتي حتى يكاد يخنقني، ومنهم من يركلني على جسدي، ومنهم من يبصق على وجهي، وأنا ماذا أفعل؟ لا شيء! إنني أتعذب بصمت وأعلم بأنهم

مستمتعون بذلك ولا يردون قتلي، أعلم هدفهم جيدًا، هم يريدون أن يجعلوني أُقبل على الانتحار، وأخسر دنياي وآخرتي مع ربي.

كمية العذاب التي أشعر بها جعلتني أفكر في عذاب مريم من الجن السفليين! بالتأكيد هي تشعر بالشيء نفسه وربما أكثر!

وعندما بدأت أفكر بها وأنا في هذا الحال، لمحتها تقف في زاوية غرفتي وتنظر إلي ببرود! هل كانت تبتسم فرحًا بعذابي؟ لا أعلم... ربما!

لا بأس يا مريم لو فرحت بعذابي فأنا أستحق ذلك، لأنني أحتاج أن أكفر عن أخطائي الكثيرة التي فعلتها في دنياي، طالبًا من ربي أن يسامحني وأن يتكرم علي بفرصة آخرى لكي أستعيد حياتي القديمة مع عائلتي وزوجتي أميرة.

فجأة توقف التعذيب! واختفى كل شيء! تلفت وكأنني كنت أحلم! لكنه كان واقعًا! بحثت عن مريم فلم أجدها هي الأخرى!

لا أعلم لماذا ولكني كنت أشعر بأني أريد فعل شيء معين، فتحت الدولاب وأخرجت كتاب الصوصافيون وبدأت أنظر له نظرات مختلفة! مرة بكراهية ومرة بحيرة ومرة بخوف وحسرة! وتحولت عيناي إلى الشمعة المشتعلة

في غرفتي، لم أفكر مرتين! وضعت الكتاب على الشمعة وصار يحترق مثل احتراق تفاصيل حياتي وجمالها حين فتحته للمرة الاولى!

فتحت الشباك ورميته بأقوى ما لدي، ورأيته يسقط على الأرض كما أسقطني مرارًا وتكرارًا، لكن لدي أمل صغير بأني سوف أنهض من جديد.

قررت أن أرجع إلى سريري مرة أخرى، فبدأت بالتحديق بالسقف وأستمتع بالقليل من الهدوء. أحاول أن أنام لكن الخوف يتملكني! أخاف من هجوم جديد من الجن! فهم لا يحبون أن يروني مرتاحًا ولو قليلًا! ولكنني أستسلمت بالنهاية وأغمضت عيني.

- بني... عبدالله انهض.

فتحت عيوني بصعوبة وشعرت بأن حرارة جسدي مرتفعة! رأيت أبي يخفف عني بابتسامة حنونة. رأيت أمي أيضًا تقف خلفه، وكان هناك شخص لا أعرفه يجلس أمامي، أبيض البشرة، يلبس ثوبًا أسود، ولديه ذقن طويلة، وبيده سبحه تصل إلى الأرض. كنت أنظر خلف أمي فأرى فتاة تنظر إلي وتبكي! هل هي أميرة! لم أكن متأكدًا، لأنني أنظر للدنيا بعين يشوبها تشويش من عذاب الجن!

- من... من هذا الرجل... يا أبي؟

نعم نطلقت هذه الجملة بصعوبة. أحسست بأن روحي سوف تخرج من جسدي!

لمس أبي رأسي بحنان وقال:

- إنه الشيخ محمد يابني، وقد جاء اليوم لمساعدتك وطرد الجن من عالمك.

لقد كان ينظر الشيخ إلي بريبة! شعرت بأنه خائف مني بعض الشيء فما أكد يقيني عندما مد يده المرتجفة ووضعها على رأسي! وبدأ يتمتم بكلمات لم أستطع أن أسمعها. مرت الدقيقة الأولى بسلام، ولكن الخوف بدأ يرتسم على وجوه الجميع عندما دخلت ثوانٍ الدقيقة الثانية! بدأ سريري بالاهتزاز مما جعل الشيخ يرفع يده عن رأسي لثواني ولكن أتوقع بأنه شجع نفسه بنفسه وأكمل. بدأت ديكورات الغرفة بالسقوط! ولم يكسرني أو يفزعني سوى منظر أبي وأمي وهما ممسكان أيادي بعضهما بعضا والخوف يرتسم على وجهيهما.

مع مضي الثواني بدأت أشعر بأن حرارة جسدي ترتفع أكثر وأكثر. ويدي أصبحت ترتجف بشكل ملحوظ وغريب! وشعرت بأن هناك من يجلس على جسدي وبقوة! وأحسست بركل وضرب على جميعٍ أجزاء جسدي. بدأت أصرخ. صرت أسمع صوتي متغيراً. شفتاي صارتا تتحركان من غير أن أتكلم!

- سوف أقتلك يا شيخ، لأنك قررت أن تتعدى على الملك ميططرون!

نظرت للجميع وهم يروني مذهولين عندما قلت هذه الجملة بهذا الصوت المرعب. لم أكن أنا من يتكلم... إنهم الجن، يسكنون جسدي.

توقف الشيخ عن القراءة وبدأت علامات الذهول تمتلكه، وعندما قرر أن يكمل خرجت مني أصوات آخرى أشد رعباً! وكان الصوت يتغير بين الثانية والأخرى. يا إلهي كم جني يسكن جسدي؟ هل سمعت صوتين... ثلاثة... عشرة أصوات!

نهض الشيخ من مكانه وسقط أرضًا من الرعب، حاول أبي أن يساعده، ولكنه دفعه بقوة وقال له:

- دعوني وشأني! جسد ابنكم ملعون! ومن يقترب منه سوف يموت!

خرج من الغرفة مسرعًا! نهضت من السرير متألمًا، وتوجهت للمرآه الموجودة بغرفتي، وعندما رأيت وجهي صدمت! لقد كان لونه أصفر على أحمر على ألوان آخرى! يا إلهي ماذا يجري لي! بدأت أصرخ بصوت عالٍ، لقد كنت خائفًا جدًا! فمسكتني أيادٍ ناعمة! كم اشتقت للمساتها طوال هذه الفترة، قالت لي:

- عبدالله انظر إلي... أنت قوي، أنت أقوى وأطيب قلب

عرفته، لا تجعلهم يهزمونك! لا تجعلهم ينتصرون، إنني معك ولن أتركك أبدًا.

نعم! إنها أميرة... زوجتي الوفية.

كنت أريد أن أقول لها بأني سعيد بتواجدها... بأني أحبها! لكن الألم الذي أشعر به جعلني أغيب عن هذه الدنيا... أغمي علي!

كنت أسمع منذ صغري بعض الأقاويل! بأن الإنسان قبل أن يموت بفترة بسيطة يشعر بأشياء لا يمكن وصفها! هل ما أشعر به الآن هو إحساسي بتوديع الحياة؟

إنني أختنق وأنا أتنفس! أبكي وأنا أضحك! مصاب بالعمى وأنا مبصر! أستمع لكل من حولي ولكني أصم! قلبي لا يعمل وأنا أسمع نبضاته!

عندما رأيت أميرة وهي تقاتل معي بحضور الشيخ محمد، كنت أظن بأني سوف أستعيدها من جديد! ولكنها رحلت عني مرة أخرى، هي وقفت معي فقط لأن أصلها من ذهب وتربيتها الفاضلة أجبرتها على الوقوف مع زوجها، رغم أن زوجها لا يستحقها! هل أنا على قيد الحياة؟ ربما! هل سأموت في الأيام القادمة؟ نعم متأكد.

تجربتي مع كتّاب الصوصافيون جعلني أيقن بأنني مخير ولست مسيرًا. فلقد عُرِضَ علي بابان مختلفان! باب للجنة وباب للنار، وكأني أُعيد حكاية آدم وتفاحته!

لا أنكر بأني علمت أسرارًا تشيبَّ رأس أي بشري! نعم هناك عالم يسمى بالروحانيات! نعم هناك عالم للجن! نعم تستطيع تسخير الجن ولكن بالطرق الصحيحة! لماذا كل هذا موجود؟ لا أعلم! فالكون له أسراره الخاصه!

كنت أعيد شريط ذكرياتي وأنا مستلقٍ على فراشي، مستسلمًا لمتاعبي الغريبة! لقد كنت معززًا مكرمًا، متواصلاً مع ربي وأملك أشياء خارقة! ترى لماذا نفس الإنسان دائمًا دنية! لماذا لم أبقَ في العالم العلوي؟ لماذا دمرت نفسي وأنهيت حياة من حولي عندما نزلت للعالم السفلي! هل كان لابد من الصعود في دنيانا أم النزول؟ أنا وجدت نفسي في الأعلى منذ البداية ولم يعجبني حالي! هل هذا يعني بأني خلقت لهذا العذاب؟ لالا! هذا يعني بأني مسير ولست مخيرًا! أنا حقًا لا أعلم بمَ أؤمن في هذه اللحظات! لا أريد الآن سوى الغفران من ربي والرجوع إلى سبيله.

أشعر بأن لدي العديد من الأعمال لكي أقوم بها، لو كان شعوري صحيحًا وأنني سوف أفارق هذه الدنيا، فسوف أعمل جاهدًا على تصحيح أخطائي والرجوع لمسار ربي، ومصالحة أقربائي وأحبابي وأطالبهم فرصة أخرى!

نعم! لماذا أنا مستسلمُ في سريري؟ سوف أنهض من جديد. نهضت من السرير إلى الأرض بحركة بهلوانية، وأخرجت ملابسي من الدولاب، ووضعت عطرًا أعشق رائحته، وكانت أميرة تحب أن تشمه. رأيت وجهي في

المرآة وحزنت بأني كبرت عشرات السنوات في فترة بسيطة لكني ابتسمت!

نزلت إلى الأسفل وذهبت إلى غرفة المعيشة، كنت أسمع صوت أبي وأمي، ووجدتهما يجلسان بهدوء ويشربان الشاي، وقفت لثوان وأنا أنظر إليهما بنظرات هادئة، فسقطت الدموع من عيني، لكني سرعان ما مسحتها وذهبت وقبلت أياديهما وقلت مبتسماً:

- مساء جميل عليكم يا أحبابي.

نظروا إلي باستغراب وقالوا بنبرة واحدة:

- عبدالله!

نهضت أمي من مكانها ولمست رأسي بحنان وبنظرات خائفة قالت:

- لماذا لا ترتاح بغرفتك يابني؟

قلت بنبرة يملؤها الحماس رغم أنني لا أشعر به!

- إنني أشعر بتحسن كبير، وسوف أذهب لإنهاء بعض الأعمال.

قال أبي بنبرة جادة:

- دعني أذهب معك فقط للإطمئنان عليك.

- لا داعي يا أبي، أنا بخير وسوف أرجع لنتناول العشاء

سوية... انتظروني!

قلتها وذهبت إلى الباب بسرعة لكي أنهي النقاش!

ركبت سيارتي وأدرت المحرك وأحسست بأن سيارتي اشتاقت لعبدالله القديم! لقد قلت لأبي وأمي إنني ذاهب لإنهاء بعض الأعمال ولكني كذبت! أنا أريد أن أذهب لمكان آخر!

بدأت أستمع إلى إحدى المحطات وصرت أردد الأغنيه التي أسمعها من غير أن أشعر! كم اشتقت لهذه اللحظات البسيطة! ولكني أكذب لو قلت أن لا يوجد شيء يشغل تفكيري! هذا الهدوء الذي أنعم فيه! إنه غريب بعض الشيء! عدم مطاردة الجن لي تصيبني بالتوتر! وأعلم بأن ما يحدث ليس مصادفة! بالتأكيد هم يخططون لشيء ما ولكن ماهو؟ لا أعلم!

وصلت إلى المكان الذي أريده، نزلت وأحسست بأن رجليَّ لا تحملاني حتى للباب! كنت أشجع نفسي إلى أن وصلت لعتبات السلم. أحسست بأني أتسلق جبلًا! مددت أصابع يدي وضغطت على الجرس. شعرت بموجات توتر تضرب جسمي على شكل كهرباء، وبعد ثوان بسيطة فتح الباب. رأيتها تقف أمامي. كم اشتقت لهذا الوجه الملائكي...نعم لقد اشتقت إلها.

- ماذا تريد يا عبدالله؟

قالتها أميرة ببرود قاتل وبملامح هادئة مما زاد من توتري فقلت:

- هل من الممكن أن أدخل وأتحدث معك؟

نظرت لي نظرة غريبة ثم قالت:

- حسنًا... ولكن ليس طويلًا فوالداي على وشك الوصول.

دخلت وسألت نفسي و إن كان والداها على وصول؟ فأنا مازلت زوجها. أعطتني ظهرها وقالت:

- تكلم فأنا أسمعك!

مشيت خطوتين ووقفت أمامها وجلست على ركبتي، كنت أنحني لها باسم الحب والعشرة، أنحني لها أسفًا وحسرة! نظرت إلى عيونها المبهورة وقلت:

- لقد أنعم الله علي بالكثير من الأشياء! عائلة متماسكة، وحياة هادئة، وزوجة لو أمشي على أقدامي حول الكرة الأرضية لن أجد مثلها أبدًا، لقد أخطأت في حقك كثيرًا، وجرحتك وأهملتك أكثر وأكثر، وأنا أخضع الآن تحت رحمة قلبك الطاهر وحنانك وحبك اللذين أعلم بوجودهما إلى الآن لي، لقد تعلمت درسًا قاسيًا يا أميرة...

قاطعتني والدموع تملأ عينيها:

- لا تظن قدومي لك عندما كان يعالجك الشيخ أني قد

سامحتك ولكني كنت أقوم بواجبي ليس إلا!

لم أستطع أن أرد عليها رغم أنني أعرف هذه المعلومة من قبل. نهضت من الأرض وقبلت رأسها وكأنها القبلة الأخيرة وقلت لها بنبرة صادقة خالية عن الأكاذيب:

- أنا آسف يا أميرة، وأنا أحتاجك بجانبي الآن، وسوف أفعل المستحيل لك لتسامحيني، أرجوك أعطيني فرصة أخرى، أنا لا أعلم كم تبقى لي في هذه الدنيا، ولكني لو رحلت أريدك بجانبي.

بدأت دموعها تنهمر أكثر فأكثر، وقالت:

- لا أستطيع أن أرجع لك الآن، فأنا مجروحة ومكسورة منك! إنني أحتاج لبعض من الوقت، أرجوك لا تضغط علي.

أحزني ردها جدًا، توقعت أن تسامحني بعد كل ما قلته لها.

تهيأت للرحيل، لكني قلت لها:

- حسنًا يا أميرة، سوف أعطيك كل الوقت الذي تحتاجينه، ولكني أريدك أن تعديني بأنك سوف تفكرين جديًا في الموضوع، وأن تفهمي بأني نادم حقًا، عديني!

نظرت إلي نظرة ينفطر لها القلب وقالت بصوت مبحوح:

- أعدك يا عبدالله.

ارتاحت مسامعي لهذا الوعد، فأعطيتها ظهري وكنت سأخرج من المنزل، وفي طريقي للخروج أحسست بكهرباء تسري في جسدي، و ألم لا يطاق في رأسي، التفت نحو أميرة وأنا أكاد أختنق! كنت أريد أن أقول لها ساعديني ولكني لم أستطع أخذ أنفاسي! رأيتها تركض نحوي بوجه مرعوب! فسقطت مغمىً علي!

- أين أنا؟ ما هذا الشعور المزعج الذي أشعر به؟ إنه ألم شديد في جميع أجزاء جسدي! كنت أحاول أن أفتح عينيَّ ولكني كنت أواجه صعوبة في ذلك! ولا أرى إلا عالمًا أسود، هل أصبت بالعمى؟

فجأة أحسست بأن جسدي يشتعل وبدأت أصرخ بأعلى صوتي وجاءتني كلمات من بعيد، لم أتمنَ أن أسمعها خاصة في هذا الوقت:

- هل كنت تظن بأنك تستطيع الفرار مني يا حشرة؟

إنه صوت ميططرون! لقد قلت مسبقًا بأني غير مطمئن من هذا السكون الذي ساد في حياتي، لقد عاد لي! هو وأتباعه! لم أكن أستطيع رؤية شيء، ولكني كنت أسمع فقط! وهذا ما زاد من رعبي!

- سوف أجعلك تندم على كل شيء عملته بي يا عبدالله، وسوف ترجع لي مذلولًا!

جائتني هذه الكلمات أيضا، وكنت أعرف ممن، إنها

مريم! وعندما انتهت من كلامها أحسست بضربة قوية على رأسي! جعلتني أشعر بأنني في نوبة صرع! لقد أصبحت ممسوسًا من قبل ميططرون وأعوانه! وأعلم بأن مريم تقف الآن معهم في تعذيبي.

في هذه اللحظة سلمت أمري لله سبحانه وتعالى. أريد حياتي أن تنتهي الآن، فالألم الذي أشعر به جعلني لا أريد الدنيا! الموت أرحم بكثير مما أعيشه من رعب وضياع، فصرت أتمتم في نفسي:

- يارب ارحمني واغفر لي يارب، مهما أخطأت سامحني ، مهما تكبرت اعفُ عني، فأنا عبدك الضعيف الذي لا يجد ملاذًا في هذه الدنيا إلا برحمتك، أرجوك خذ روحي من هذه الدنيا واغسل ذنوبي بعطفك، لو كان هذا العذاب الذي أعيشه الآن هو تكفير لذنوبي فأنا راضٍ ولن أشتكي! ولكني أريدك أن تغفرلي... أرجوك!

كنت مستسلمًا لتعذيبي ولموتي في أية لحظة، ولكن هناك صوتًا جاءني من بعيد، أعاد لي الأمل مرة آخرى في هذه الدنيا:

- عبدالله أنا هنا يا حبيبي، أنا لست غاضبة منك. نسيت كل شيء... سوف أكون بجانبك ولن أتركك أبدًا، وعد مني أن أقف معك إلى أن نتعدى هذه المشاكل، أنت زوجي وحبيبي وكل ما أملك، أرجوك افتح عينيك، من أجلي يا عبدالله!

كنت أحاول بكل ما أملك أن أفتح عينيَّ. لم أستطع. ألم كبير يغزو كل أنحاء جسدي! وكنت أشعر وكأن أحدًا ينام فوق جفنيَّ. سمعتها تهمس في أذني من جديد:

- أنا أحبك يا عبدالله أحبك! حاول من أجلي أرجوك!

باسم الحب وباسم نيتي في تكفير سيئاتي وذنوبي، سوف أحاول! بدأت أصرخ من قوة الألم. أحسست أن أحبالي الصوتية سوف تنقطع، وبعد عدة محاولات نجحت! وفتحت عينيَّ!

إنه شعور غريب! وكأنني كنت أعمى وأبصرت! الدنيا كلها بيضاء. سرعان ما تلاشى البياض وارتسمت الصورة أمامي! رأيت وجه أميرة أمامي بدموعها وابتسامتها المكسورة، وضعت يدها على رأسي بكل حنان وقالت:

- لن أتركك أبدًا.

ابتسمت وأحسست أنه حتى ابتسامتي تؤلمني! رأيت والديَّ خلف أميرة، لقد كان يتهامسان مع رجل طويل جدًا! ذو جسم ضخم، وبياضه كان غريبًا! ولديه شعر قصير لونه أسود، كنت أحاول أن أسال أميرة عن هوية الرجل ولكن لم أستطع أن أتكلم! فأشرت بيدي عليه، فالتفت أميرة عليه وقالت:

- لا تقلق فهو هنا لمساعدتك، مهما جرى يا عبدالله أريدك أن تكون قويًا، وعندما ينتهي الأمر، ستجدني

أنتظرك لكي نبدأ حياتنا من جديد.

لم أفهم كلامها! ورأيت الرجل الضخم يأتي مسرعًا نحوي ويدنو من أميرة ويقول:

- ليس هناك وقت! لابد علي أن أبدأ!

مسك يدي بقوة وضل ينظر لعيوني بطريقة غريبة! نظرته كانت ثاقبة جدًا. التفت إلى والديَّ وأميرة وقال:

- جسده مسكون من أربعة من الجن ويتربع عليهم ملك سفلي قوي جدًا!

سمعت صوت أمي وهي تبكي! يا لبشاعتي! كيف فعلت كل هذا بعائلتي! قطع الرجل حبل أفكاري وهو يضغط على يدي بقوة ويقول:

- اسمعني يا عبدالله ، سوف أساعدك ولكن أريدك أن تكون قويًا، لا أريدك أن تستسلم، تذكر بأنك أقوى منهم باسم الله! ولقد كرمك ربك بقوةٍ كونك من البشر وهم من الجن، وليسوا أي جن، إنهم سفليون! بإذن الله سوف نتخلص منهم يا صديقي.

أومأت برأسي له وبدأت أشعر أن جسدي بأكمله قد اشتعل! وبدأت أتعرق بطريقة غريبة! وكأن أحدًا يسكب الماء الحار على رأسي.

وضع الرجل يده على رأسي وقرب مني وبدأ يهمس لي

بكلمات لم تكن عربية! لقد كانت سيريانية! كان يقرأ بلغة الجن! من هذا الرجل يا ترى؟ لم أكن أستطيع التفكير أكثر لأنه وهو يقرأ كان جسدي بأكمله يؤلمني بشدة! أحسست بدبابيس تدخل في جسدي، أحسست بأشخاص يركلوني، يضربوني، وسمعت بداخلي أصواتًا مخيفة تأمرني أن أوقف الرجل عن القراءة أو أنهم سيقتلوني!

لم أهتم لهم لأني ميت لا محالة! ولكن الألم هو ما كان يسيطر على حواسي.

بدأ صوت الرجل يعلو أكثر فأكثر إلى أن تحول لصوت مرعب! كانت لهجته تغلبها نبرة الأمر!

لا أعلم كيف! ولكني رأيت ميططرون وأعوانه ومريم أيضًا وهم يقفون فوق رأسي، وكان الغضب يملأ وجوههم!

لم أكن أفهم ما يجري، ولكن كان ميططرون يصرخ على مريم، وكأنها تريد أن تفعل شيئًا وهو غير راضيًا! وفجأه! طارت مريم من مكانها واختفت وصرخ ميططرون بصوت يصم الأذان ومع صرخته، نظر إلي وأحسست بألم أكبر يسري في جسدي بأكمله وسمعته يقول:

- سوف أقتلك يا بشري يا قذر! أنت ومن يقف معك!

جاءني صوت الرجل الذي يقرأ علي:

- انظر إلى عينيَّ أنا، لا تنظر إليهم وتحلَّ بالقوة يا صديقي!

كان يتكلم من دون أن يحرك شفتيه! وكنت أظن بأنني أتوهم ولكن تأكدت من ذلك عندما قال مرة أخرى:

- تحلَّ بالقوة!

هنا قلت من داخلي:

- من أنت؟

نظر إلي وقال:

- صديق!

لم أعرف من هو ولم أستطع أن أكمل أسئلتي لأن الألم وصل لذروته معي! يا إلهي لا أستطيع أن أتحمل أكثر! قال الرجل بصوت عالٍ:

- إننا ننتصر يا عبدالله... هيا يا صديقي قليلًا من القوة... هيا!

فصرخت بأعلى صوتي لدرجة أنني أحسست بأن جدران غرفتي تتحرك! وسمعت ميططرون وأعوانه يصرخون أيضًا، وفي هذه اللحظة سكنني شعور قديم! لم أشعر به منذ زمن طويل! إنها الطمأنينة!

نظرت إلى الرجل، لقد كان متعبًا جدًا ولكنه مبتسم!

فقال لي:

- لقد انتصرنا يا عبدالله!

هنا فقط أحسست بضغط كبير قد أزيل من جسدي! فقلت بصوت تعب:

- أميرة... أميرة!

جاءتني أميرة مسرعة وأمسكت يدي وهي تبكي وتقول:

- إنني هنا يا حبيبي.

اكتملت راحتي أخيرًا، فأغمضت عينيَّ ونمت قتيلًا من التعب!

كثيرًا ما يقال إن الحرية مسلوبة من بين أيدي البشر الذين يعيشون خلف القضبان. سجن الشخص وسجن حريته معه، لكن هل الحرية فقط في أن تستطيع التجول في أي مكان؟ لا أعتقد ذلك! الحرية هي أن تبتسم وتحيا وتبكي وتحلم وتحب في أي وقت تريده، الحرية هي ذاك الإحساس الجميل الذي شعرت به عندما فتحت عيوني من بعد ليلة غريبة ومؤلمة، رأيت أميرة أمامي وهي مبتسمة وبيدها كوب من الماء:

- أهلا بك من جديد!

ابتسمت لها رغم تعبي الكبير. ساعدتني في شرب الماء الذي تحمله وقالت لي:

- عندما شعرت بأنني سوف أفقدك أحسست بأني من الممكن أن أخسر كل شيء، وعندما رأيتك تفتح عينيك الآن. عرفت بأني ملكت الدنيا وما فيها.

مسكت يديها وصرت أداعبها بحنان وقلت:

- حمدًا لله أن كل شيء قد رجع لمكانه الطبيعي يا حبيبتي. قلتها من قبل وسأقولها مرة أخرى، إنني آسف على كل ما فعلته بي وبكِ! لقد أدخلت نفسي في عالم غريبٍ وسحري، فيه أسرار لا تصدق! فيه الجميل والبشع! ولكن بغباء مني تركت الجاه وتمسكت بالذل! وهذا ما كان سيقتلني!

ابتسمت لي ابتسامة باردة... مطمئنة وقالت:

- لا نريد أن نتكلم عن الماضي، دعنا في اليوم والغد فقط!

أكملت كلامها وسكتت، لكني شعرت بأنها تريد أن تقول شيئًا آخر!

- أميرة؟ ماذا هناك؟ تكلمي!

- في الحقيقة أريد منك طلبًا، وأريدك أن تنفذه إن رجعت لك صحتك في الأيام القادمة.

قلت باستغراب: وماهو الطلب؟

- أريد ابنًا منك، أريد أن نحظى بعائلة كبيرة وسعيدة.

منذ بداية زواجنا وهي تلح على الإنجاب وكنت رافضًا هذه الفكرة، يا للمسكينه! لقد تحملت كل مساوئي وصبرت علي!

- لك هذا يا حبيبتي، وسوف أعوضك على كل ما فات من حزن وألم، وسوف ألبي لك جميع متطلباتك ، فأنا في حالة مادية ممتازة و...

وضعت يدها على فمي وقالت:

- لا تهمني أموالك يا عبدالله، ما يهمني هو أنت!

رغم جمال هذه اللحظة إلا أنني تذكرت شيئًا، غاب عن ذهني لدقائق:

- أميرة أود أن أسألك عن الرجل الذي كان موجودًا معي بالأمس.

قالت وقد تغيرت ملامح وجهها:

- أنا لا أعرفه ولكن والدك قال بأن هناك مجموعة من الناس الصالحين يستطيعون أن يساعدونا، وعندما اتصلنا بهم، أجابنا هو، ولبى طلب والدك بلا أي تردد.

قلت باستغراب:

- وما اسمه؟

- هذا هو الشيء الغريب في الموضوع! لا أحد يعرف اسمه! آه تذكرت، لقد ترك لك ظرفًا يريد أن يصل لك وقال بأنه لا يريد أتعابًا مالية، أنتظر سوف أذهب لجلبه!

نهضت من مكانها وتركتني وحيدًا أفكر! ترى من هذا الرجل؟ إنني أتذكر جيدًا أنه قال لي إنه صديق! وكان يكلمني وكأنه يسكن جسدي!

رجعت أميرة وبيدها الظرف، أعطتني إياه وقالت:

- سوف أجعلك تحظى ببعض الخصوصية والراحة، أراك بعد قليل.

ابتسمت لها شكرًا، فخرجت وأغلقت الباب.

رأيت الظرف، إنه ذهبي اللون، غريب الشكل! عليه العديد من الزخارف على أطرافه، فتحته بصعوبة فوجدت داخله ورقة زرقاء مكتوب عليها:

- اعتنِ بنفسك جيدًا! صديقك يوناس الحكيم.

يا إلهي إنه يوناس الحكيم! هو من ساعدني! ولكن كيف ولماذا؟ وكيف عرف! وفي عز أفكاري أحسست برجفة في يدي. ذهلت عندما رأيت الظرف يحترق من تلقاء نفسه ويختفي!

في بعض الأحيان، هناك مواقف تحدث لنا في حياتنا ولا نجد لها تفسيرًا، والأفضل ألا نفكر فيها إطلاقًا، وهذا

ما سأقوم به في موضوع يوناس الحكيم، لا أعلم لماذا ساعدني ولكني ممنون له لأخر لحظات عمري.

- شكرًا لك يا يوناس الحكيم!

قلتها بصوت عالٍ ونظرت إلى جدران الغرفة فأحسست بأن شكري قد وصل له!

قررت أن أطرد الكسل عن جسدي. نهضت من سريري ونزلت إلى الأسفل. مشيت وراء صوت ضحكات أبي وأمي وزوجتي، لقد كانوا يتناولون الغداء في غرفة المعيشة، وعندما دخلت استقبلوني بالترحيب والقبل والفرح والسرور، لقد جعلوا دموعي تسقط فرحًا! نعم! إن العائلة نعمة من نعم الله عز وجل، لو تخلت كل هذه الدنيا عنك، فهم سوف يقفون معك مهما حصل! مهما كنت قبيحًا سوف يرونك جميلاً، مهما كنت سيئًا بعيونهم أنت الأفضل، ولو فكرت بأن تسقط سوف ينتشلونك من الأرض من غير تفكير.

جلست معهم على طاولة الغداء ووضعوا لي طبقًا من الأرز الشهي. قال لي أبي:

- كيف تشعر الآن يا بني؟

كنت أريد أن أضع حبات الأرز في فمي وأجيبه، ولكن الصوت الذي سمعته جعلني أسقط الملعقة من يدي، إنه باب بيتنا! لقد تكسر بالكامل! دخل عبره رجال

كثر يترأسهم شخص بنظاراته السوداء! وقال:

- أين هو عبدالله؟

مع نظرات والداي المصدومة وعيون أميرة الخائفة، أجبته بصوت مبحوح:

- أنا عبدالله! من أنتم وكيف تدخلون علينا بهذه الطريقة؟

- نحن الشرطة ولدينا الإذن بكل ما نفعله، أنت مطلوب للعدالة، وعليك أن تأتي معنا حالًا!

أحسست وكأن أحدًا يصفعني بقوة! فقلت بلسان ثقيل:

- أتوقع بأن هناك خطأ يا سيدي، لأنني لم أفعل شيئًا!

قال الرجل بأسلوب جاف وبارد لرجاله:

- أجلبوه الان!

قالها فهجموا علي بقوة وكانوا يمسكوني وأنا أصرخ عليهم، أطلب منهم أن يتركوني، وصيحات أمي وزوجتي كانت تزيد من توتري وخوفي، ونظرات أبي المكسوره كادت تقتلني! لماذا كل هذا يجري معي أنا؟ لماذا المشاكل لا تريد أن تتركني! كنت أصارعهم محاولًا الهرب، نعم أريد الهرب ولا أعلم ممَ!

سحبوني إلى باب منزلنا الخارجي وأدخلوني في سيارة

كبيرة سوداء، والتفت ووجدت عائلتي تقف عند الباب ورأيت شيء صعقني وكاد يوقف قلبي!

إنها مريم! تقف خلف عائلتي وتلوح لي وتضحك بخبث! وعيونها كانت توحي بكمية شر لم أعهده فيها من قبل، نعم إنها نظرات الانتقام!

من محنة إلى محنة، وعندما أتقدم خطوة إلى الأمام، أجد نفسي أرجع عشر خطوات إلى الخلف! في الأيام التي مضت كانوا يحققون معي في جريمة إلى الآن لا أعرف عنها شيئًا! كنت أرى العديد من الأوراق الرسمية التي لم أراها طوال حياتي، وما يذهلني بأني كنت أرى عليها توقيعي الخاص! ما كان يجري معي أشبه بالكابوس! كنت أنتظر شخصًا مجهولًا يخرج من العدم ويقول بأنه كل ما يجري مزاح ليس إلا! ولكن للأسف كل ما يجري كان حقيقيًا!

طالبت بتشكيل لجنة لكشف التزوير الذي يجري ولكن النتائج كانت عكسية! الأوراق رسمية والتوقيع توقيعي! وفي يوم وليلة أصبحت لصًا وسرقت أموالاً وعقاراتٍ من العديد من الناس!

أبي وأمي وأميرة وكلوا لي مجموعة من المحامين ولم يستطع أحد أن يساعدني، كانوا يقولون لنا بأن قضيتي ليس بها خيط واحد للنجاة، وموقفي صعب جدًا! ولا يملكون أي حل إلا طلب تخفيض العقوبة.

الشرطة كانوا يريدون مني إعترافًا واحدًا لكي تغلق القضية، ولكني كنت أصر بأني مظلوم ولم أفعل شيئًا.

قضيت الليالي وأنا أنتقل من سجن إلى آخر، لقد كسر بي آخر أمل في هذه الدنيا! كنت أظن بأن جميع ما سيأتي سيكون جميلًا ولكني أصبحت متاكدًا بأني خلقت لكي أعاني! وخلقت لكي أخطىء واستمر طوال حياتي أكفر عن سيئاتي!

طلبت من الشرطة أن لا أرى أحدًا! لا أريد زيارة عائلتي لأن رؤيتهم تزيد من حزني وانكساري!

ذات يوم طلبوني لتحقيق آخر. أخذوني من زنزانتي ودخلت إلى غرفة المحقق، ووجدته يجلس على مكتبه وبجانبه رجل سيسجل جميع أقوالي، ورأيتها تقف خلفه! وتنظر إلي بابتسامة النصر، إنها مريم!

لم أعطها أي اهتمام، وجلست أمام المحقق بكل برود، فقال لي:

- لماذا الانكار يا عبدالله؟ صدقني بأني أقوم بعملي ليس إلا، ولن أستفيد لو سجنت أو خرجت حرًا، ولكن هل من المعقول بأن جميع هذه الدنيا تقف ضدك؟ لا يوجد حتى دليل واحد على براءتك.

كان يتكلم وكنت أرى مريم خلفة. ابتسامتها تزداد أكثر وأكثر، وتقرفني أنا أكثر وأكثر!

بلعت ريقي وبلعت معه جميع أحزان الدنيا وقسوتها وقلت:

- هل تؤمن بربك يا سيدي المحقق؟

نظر إلي باستغراب وقال:

- وهل هذا السؤال يحتاج لجواب؟ بالطبع أؤمن به!

ابتسمت له ببرود وقلت:

- وأنا أيضًا أؤمن به، ولدي قناعة أن كل شيء يحدث لي لسبب معين، وإن كنت مذنبًا أمام القانون فأنا مستعد لمحاكمتي! ولكني إن خرجت من سجني بعد سنوات لا أعلم بمدتها، سوف أبحث عنك وأذكرك بي وأقول لك بأني كنت مظلومًا!

قلتها وسكت ورأيت الصدمة على وجه المحقق وعلى وجه الرجل الذي يجلس معه، ورأيت تقلبات وجه مريم. اقتربت مني إلى أن وضعت عينيها بعيني ومن ثم همست لي:

- سوف تكون لي طوال عمرك... ملكي أنا! وسوف تحبني من جديد، ولن أسمح لأحد بأن يأخذك مني... هل تفهم؟

نظرت إليها بوجه خالٍ من التعابير، وقلت في نفسي:

- صبرًا جميلًا يا نفسي، فأنا أذنبت وعسى ربي أن يرحمني ويغفر لي، ويخلصني من كل ما أمر فيه... نعم! ربي فوق الجميع!

- تمت -

- نلتقي في قصة جديدة في عالم الصوصافيون -

---

(1) اسم الشيطان الحقيقي.

(2) صفة أطلقها الناس على كل من يمتلك تلك القدرة الخارقة على قطع مسافة طويلة جداً في خطوة واحدة أو في لمح البصر, فلا يعوقهم بحر ولا جبل. أو أنها تلك القدرة على التواجد في أكثر من مكان في نفس اللحظة.

صوصافيون

جماعة تمّ تأسيسها منذ قديم الأزل وأطلق عليهم اسم -الصوصافيون- .

كان شعارهم التقوى والصلاح. حوربت الجماعة من جميع الأديان والمذاهب، ذنبهم الوحيد هو اكتشافهم لعالم مخفي عن البشر، عالم مقارب للعالم البشري ولكن فيه شيء غريب كالسحر! ومفعول سحره لا يعمل إلا بشروط. استطاعوا أن يفكوا رموز علم محير! يعتمد على الأرقام والكلمات، وأثبتوا أن هناك أسرارًا كونية من الممكن أن يجنّ منها العقل البشري!

لو كانت هناك دولتان تفصل بينهما بحيرة، فمن السهل جدًا أن نضع جسرًا يربط بينهما، وبهذا يمكننا التنقل عبرهما بسهولة.

ولكن لو كنا نريد أن نبني جسرًا بين العالم الإنسي وعالم الجن؟ فممّ سوف يتكون هذا الجسر؟

هذا السؤال - الصوصافيون - تمكنوا من الإجابة عنه، واكشفوا عالمًا مخفيًا فيه الكثير من الغرائب والعجائب.

محمد جمال

m_j89 Mohammed89jamal mayaj89




بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND

bookландkw @bookland.kw www.booklandkw.com